

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

”شعر الحَسَد“
في الموازنة للأمدي (ت ٣٧٠ هـ)
بين التصوير والدلالة

إعداد

د/ رشا ممدوح كريم عبده

المدرس بقسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

(العدد السابع والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

شعر الحَسَد" في الموازنة للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) بين التصوير والدلالة.

رشا ممدوح كريم عبده

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالإسكندرية،
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: rashamamdouh_islam.alx@azhar.edu.eg

ملخص:

هذه دراسة بلاغية بعنوان (الحسد في الموازنة للآمدي بين التصوير والدلالة)،
والحسد من الموضوعات التي يعاني منها البشر في حياتهم، فلا شك أن تلتفت
إليه أنظارهم في أشعارهم، ومن المعلوم أن كتاب الآمدي يعقد موازنته حول
شاعرين كبيرين، وهما: أبو تمام والبحتري، لذا هدفتُ الدراسة إلى معرفة كيفية
تعبير الشاعرين وإبداعهما للوصول إلى أجود صورة تُظهِرُ هذا المعنى، وعلى
الأخص في بعض المواضع التي تبيين اختلاف الصنعة والتصوير في المعنى
المتحد، كما هو الحال في الأبيات محل الدراسة من كتاب الموازنة الجزء الثالث،
وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الذي يحتاج إلى قراءة الأبيات قراءة
واعيةً، والرجوع إلى سياقاتها بالديوانين، واستخراج معاني مفرداتها، وربط المعنى
اللغوي بالمجازي، والمنهج التحليلي الوصفي: الذي يتتبع الظاهرة البلاغية،
للكشف عن أسرارها وطرائق الشاعر فيها، والمنهج النفسي: الذي ركّز على
نفسية الشاعر، واستتباط ما وراء كلماته. وكانت أول خطوات التحليل: البدء
بمعرفة العمود الذي ارتكز عليه التصوير في الصور محل الدراسة، هل هو
تشخيص أم تجسيم أم وصف أم غير ذلك، ثم نَفَقْدُ كل ما تضافر معه من كلمة
أو عبارة أو جرس أو تجربة شعورية أثَّرتْ على اكتمال هذه الصورة، أي أن هذه
الدراسة دراسة بلاغية كاملة، تتسم بالدقة في العرض، وليست قاصرة على
الدراسة البيانية فقط.

الكلمات المفتاحية: الحسد، الموازنة، الآمدي، التصوير، الدلالة.

**“Poetry of Envy” in Al-Mawzanat by Al-Amidi (d. 370 AH)
between imagery and connotation.**

Rasha Mamdouh Karim Abdo

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Alexandria, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

Email: rashamamdouh_islam.alx@azhar.edu.eg

Abstract:

This is a rhetorical study entitled (Envy in Al-Amidi’s Balancing between Imagery and Connotation), and envy is one of the topics that people suffer from in their lives. There is no doubt that people pay attention to it in their poetry. It is known that Al-Amidi’s book draws its balance around two great poets, namely: Abu Tamam and Al-Buhturi, so the study aimed to know how the two poets expressed and created themselves in order to reach the best image that shows this meaning, especially in some places that show the difference in craftsmanship and depiction in the unified meaning, as is the case in the verses under study from the book Al-Mawzanat, Part Three, and the research was based on On the inductive approach, which requires conscious reading of the verses, referring to their contexts in the two collections, extracting the meanings of their vocabulary, and linking the linguistic meaning to the metaphorical ones, and the descriptive analytical approach: which traces the rhetorical phenomenon, to reveal its secrets and the poet’s methods in it, and the psychological approach: which focuses on the poet’s psychology, And discover what is behind his words. The first step in the analysis was to begin by knowing the pillar on which the depiction in the images under study was based, whether it was a diagnosis, anthropomorphism, description, or something else. Then, inspect everything that came together with it, whether a word, phrase, timbre, or emotional experience, that affected the completion of this image, i.e. This study is a complete rhetorical study, characterized by accuracy in presentation, and is not limited to a graphic study only.

Keywords: Envy, Balance, Amadi, PHotography, Significance.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فقد شكّل جمال الشعر وقدرته التعبيرية جوانبَ جَدْبَ دَعَتْ الشعراء إلى الجودة فيه، ودَعَتْ القراء إلى الإعجاب به والتغني فيه، والنقاد إلى دقة الملاحظة، والتبصر للوصول إلى تميز القصيدة وتمايز الشاعر، وكانت الموازنات من بين طرائق الوصول إلى ذلك التميز والتمايز معه. وكان التباري بين شعراء الزمان الواحد أو الأزمنة المتعاقبة على زمن الإجازة في القصيدة الأجود والأسبق سبباً إلى التجويد في الشعر، وسبباً في الموازنة، سواء أكان ذلك بقصد من الشعراء أنفسهم، أم من تَوَجُّه النقاد المولعين بذلك.

ومن بينهم دراستي بعنوان: "شعر الحسد" في الموازنة للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) بين التصوير والدلالة. وتعد الموازنة كتاباً ضخماً، فيه من العلم الغزير ما يدل على نضج واتساع عقلية الآمدي الفذة، فقد جمع شعر الشعارين -أبي تمام والبحتري- وعرض وفصل وربط دون أن يفضل شاعراً على آخر، حتى شكّلت موازنته نغمات جديدة في تاريخ النقد الأدبي، مما دعاني لدراستها، وإظهار أسسها ومقاييسها بالتطبيق عليها.

ومن الدراسات البلاغية السابقة في كتاب الموازنة: دراسة للأستاذة الدكتورة/ أسماء السيد السيد شعبان، بعنوان: الشيب والشباب في الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري دراسة بلاغية نقدية^(١).

والحسد أول ذنب في السماء؛ حينما حسد إبليس سيدنا آدم على مكانته التي وضعه الله فيها، وأول معصية على الأرض؛ عندما حسد ابن سيدنا آدم أخاه على زوجته فقتله؛ ليتزوجها؛ لذا وقع اختياري على باب "الحسد"، كما وجدت الكثير يتغنون به في أشعارهم، منهم ابن المعتز في قوله^(٢):

اصْبِرْ عَلَى حَسَدِ الْحَسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ فالنارُ تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله
والإمام الشافعي -رحمه الله- في قوله^(٣):

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

ومنهم من استخدمه بمعناه الحقيقي الشرعي، ومنهم من وضع له معنًا مجازيًا أضفى عليه جمالًا، فشعرتُ وكأنه غرضٌ جديدٌ غير مقصود من أغراض الشعر العربي يجب الوقوف عليه والتمعن فيه، كأمثال أبي تمام والبحتري؛ حيث جعل كلاهما من الحسد مادة تصويرية خصبة.

وطالما أن الحسد من الموضوعات التي يعاني منها البشر في حياتهم، فلا شك ستلقت إليه أنظارهم في أشعارهم، وهو بالفعل ما حدث لي عندما قرأت العنوان، واشتقتُ إلى معرفة كيفية تعبير الشعارين وإبداعهما للوصول إلى أجود صورة تُظهِرُ هذا المعنى، وعلى الأخص في بعض المواضع التي تبين اختلاف

(١) بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة -الجزء الثالث- العدد العشرون س ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

(٢) ديوان ابن المعتز، دار صادر بيروت، ص ٣٨٩.

(٣) ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر القاهرة، ص ٦٤.

الصنعة والتصوير في المعنى المتحد، كما هو الحال في الأبيات محل الدراسة من كتاب الموازنة الجزء الثالث.

ومن هنا تتبين أهداف البحث واضحة، وهي:

- ١- دواعي حديث الشعراء عن الحسد.
- ٢- معرفة طرائق الشعراء في التعبير عن الحسد.
- ٣- الوقوف على أوجه الاتفاق بين الشعراء في التعبير عن المعنى الواحد.
- ٤- بيان أوجه اختلاف صورة المعنى بلاغيا بين الشعراء، أو بين الشاعر ونفسه في السياقات المتعددة.

وقد اعتمدتُ في بحثي على المنهج:

- ١- الاستقرائي: وهو قراءة الأبيات قراءة واعية، وتتبعها في سياقاتها بالديوانين، واستخراج معاني مفرداتها، وربط المعنى اللغوي بالمجازي من خلال السياق.
- ٢- التحليلي الوصفي: وهو تتبع الظاهرة البلاغية، للكشف عن أسرارها وطرائق الشاعر فيها.
- ٣- النفسي: الذي ركز على نفسية الشاعر، واستنباط ما وراء كلماته.

وأول خطواتي في التحليل: البدء بمعرفة العمود الذي ارتكز عليه التصوير في الصور التي هي محل البحث، هل هو تشخيص أم تجسيم أم وصف أم غير ذلك، ثم تَفَقُّد كل ما تضافر معه من كلمة أو عبارة أو جرس أو تجربة شعورية أثرت على اكتمال هذه الصورة، معقبة في نهاية كل مبحث على ما استنتجته من هذا المبحث، أي أن دراستي دراسة بلاغية كاملة، تتسم بالدقة في العرض، وليست قاصرة على الدراسة البيانية فقط.

ووقع باب "الحسد" بالجزء الثالث من هذا الكتاب، الذي اكتفى مؤلفه ببسير من النقد بالجزئين الثاني والثالث لا يتعدى بعض الألفاظ والعبارات، بعدما استفاض في الجزء الأول؛ حيث عرض وشرح وقام بالتحليل والنقد، فهذا الباب - باب الحسد- ما هو إلا تجميع لأعذب الأبيات التي انتقاها الآمدي وقال عنها

بنهاية الباب: "قد تصرفا في هذا الباب تصرفا حسنا، غير أنني أفضل أبا تمام لقوله: "وإذا أراد الله نشر فضيلة"؛ لأنه معنى متناه في حسنه وحلاوة نظمه." (١) وذكر الآمدي لأبي تمام في باب الحسد (٨) صور، تناولت منها (٦)، وللبحتري (٢٠) صورة، تناولت منها (١٥)، وتركت (٧) صور للشاعرين؛ نظرا لتكرار معناها الواحد في مبحث واحد.

وقد جاء البحث مشتتلا على مقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

وتمهيد به: نبذة مختصرة عن الحسد من الناحية الشرعية والنقدية، والشاعرين وشعريهما، والآمدي وكتاب الموازنة، والمقصود بالتصوير والدلالة، ثم عرض مجمل للأبيات محل الدراسة.

وقسمت البحث إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: المحسود وعلو منزلته بين التصوير والدلالة.

المبحث الثاني: اقتران الحسد بالنعمة بين التصوير والدلالة.

المبحث الثالث: فضل الحاسد على المحسود بين التصوير والدلالة.

المبحث الرابع: عاقبة القلوب السوداء بين التصوير والدلالة.

المبحث الخامس: نفي الحسد عن الحاسد، وإثباته للمحب بين التصوير والدلالة.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، مُحاولَةً الوصول بهذا البحث إلى أفضل وجه وأوضح رؤية، راجية من الله أن يكون من الأبحاث البلاغية التي تمنح النفس الصادقة اطمئنانها.

(١) الموازنة: لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الله حمد

محارب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج ٣/ص ١٢١.

تمهيد

أولاً: تعريف الحسد وما شابهه من أوصاف:

الحسد: من حَسَدَ يَحْسِدُهُ حَسَدًا وَحَسَدَهُ: إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته. وهذا المفهوم يختلف عن مفهوم الغيبة وهو: أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه. ومن هذا يتضح اختلاف الحسد عن الغيبة؛ فالغيبة صفة المؤمن، والحسد صفة المنافق، وإنما سميت حسداً من باب الاستعارة^(١).

والحسد أيضا يختلف عن البخل؛ إذ إن البخل يتمنى دفع النعمة عن الجميع، فيحرم نفسه وغيره من ملذات الحياة، بخلاف الحاسد الذي يريد استحواذ نفسه وإمتاعها هي فقط، وعدم إعطاء النعم لأحد سواها.

والحسد أيضا يختلف عن الغيرة؛ التي هي شعور داخلي بالنقص، وإن لم يكن لديه أي نقصان!، فهو يمتلك كل شيء، ولكنه يستشعر أن ما لديه ضئيل مقارنة بما يمتلكه الآخر وإن صغر.

أما الحقد: فهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها^(٢)، فتلحظ أن الحقد أعلى مرتبة؛ لأنه ينشأ من نية مبيّنة، وترصُّ منتظر؛ حيث يتمنى الحاقد زوال النعمة من المحسود على أي حال. وكلها أوصاف لا يألّفها ديننا الحنيف الذي يدعو للمودة والصفاء.

ولقد نهانا نبينا الكريم عن الحسد فقال: "ياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"^(٣)، كما أنه يأكل النفس، ويهلكها ويدمر

(١) ينظر لسان العرب لجمال الدين بن منظور، دار بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ. مادة

(ح س د، غ ب ط).

(٢) لسان العرب مادة (ح ق د).

(٣) سنن أبي داود الأرنؤوط، باب الحسد، الجزء ٧، ص ٢٦٤.

العلاقات وبييدها، ويُغضب المولى جل جلاله، ويغلق عن صاحبه باب التوبة والمغفرة.

فعلى الحاسد أن يلجأ إلى الله - عز وجل - بالدعاء والتضرع، والتذلل إليه بالاستغفار والصدقة والإحسان، وتجريد توبته من الذنوب؛ ليزيل ما بقلبه من حسد.

وعلى المحسود التعوذ بالله من شره، وعدم الجزوع من حسده، والإحسان إلى حاسده؛ حتى يطفى ناره وحقده. فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١)

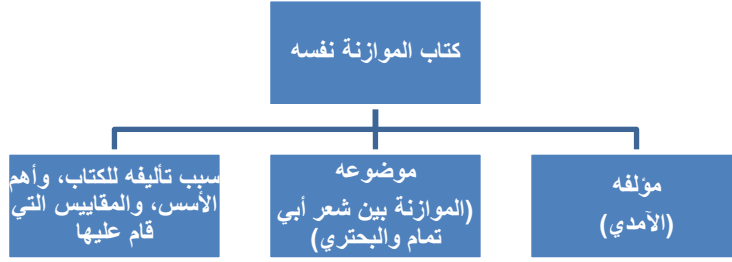
صدق الله العظيم.

هذه نبذة مختصرة عن الحسد من الناحية الشرعية، أما من الناحية النقدية فيجب أن يسأل كل منا نفسه سؤالاً وهو:

لِمَ اتخذ الشعراء الحسد سبباً لهم في كثير من قصائدهم؟ وهل استخدموا مصطلح الحسد كما هو متعارف عليه بالمعنى الشرعي، أم ابتكروا له معناً جديداً وفائدةً شعريةً تجعله وكأنه غرضاً جلياً من أغراض الشعر العربي؟! هذا ما سنتفقه من خلال الدراسة البلاغية لشعر أبي تمام والبحثري في باب الحسد من كتاب الموازنة للأمدي.

(١) سورة فصلت - الآية ٣٤.

ثانيا: نبذة مختصرة عن:



تُعَدُّ موازنة الآمدي أصلا عظيما من أصول النقد الأدبي، ومرجعا هاما لعلماء البيان، ومصدرا من مصادرهم العلمية، وقبل الحديث عنها يجب الوقوف على معنى كلمة موازنة لغة واصطلاحا؛ للوقوف على الجهد المبذول لدى مؤلفه، **فالموازنة لغة:** وَرَنَّ الشَّيْءُ وَرْنًا وَرِنَةً وَوَارِنَةً: عَادَلَهُ وَقَابَلَهُ^(١)، ليكون المعنى اللغوي: المقابلة العادلة بين شيئين، بينما يستنتج من منهج الكتاب **مفهوم الموازنة اصطلاحا** ألا وهو: دراسة مقارنة بين نصين شاعرين أو أكثر، يتراءى منها أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، عن طريق ناقد واع واسع المعرفة، يستطيع عرض ووصف الظاهرة بينهما، والحكم عليها في مكانها، دون التحيز لأحدهما، وفقا لمعايير نقدية تختلف من ناقد إلى آخر، تبعا لمذهبه النقدي في الأدب.

وتعتبر الموازنة ذات أصول عربية أصيلة؛ ففي سوق عكاظ كان يقوم النابغة بالحكم على الشاعر وشعره، حيث كانت تُضْرَبُ له فيه قبة حمراء من جلد، فيأتيه الشعراء من كل مكان يعرضون عليه أشعارهم، فكان يستخلص أوجه التشابه والاختلاف وما يميز شاعر عن آخر، حتى لقبوا بعض الشعراء بألقاب تصفهم: كالنمر بن تولب بالكيس لحسن شعره، والقصائد بالدرة واليتميمة، وغير ذلك من الألقاب والموازنات التي تعتبر أصلا لهذا المفهوم الآن.

(١) ينظر: لسان العرب مادة (و ز ن).

وهذا ما استطاع **الأمدي** صاحب العقل الفذ فعله؛ فقد عاش أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي في القرن الرابع الهجري، وقد هدت البصرة ميلاده، حينما كانت مركزاً ثقافياً شهد نتاج كبار الفحول في العلم، والأدب، واللغة، والفلسفة، فقد كان حسن الفهم، سريع الإدراك جيد الدراية والرواية، إماماً في الأدب، وله شعر حسن، وقد اطلع على كتب كبار النقاد مثل: ابن سلام الجمحي، وابن قتيبة، وابن المعتز، وقدامة بن جعفر، وابن طباطبا وغيرهم، ثم ألف كتباً في الرد على بعضهم، أو في تبیین أخطاء بعضهم، ومن هذه الكتب: كتاب (ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ)، وكتاب الموازنة بين أبي تمام والبحثري، وهو كتاب حسن، وإن كان قد عيب عليه ميله للبحثري؛ بكثرة ما أورده له، وتعصبه على أبي تمام^(١).

وقد وزن بين شعر **أبي تمام** و**البحثري**، وهما شاعران من كبار الشعراء في العصر العباسي، فأبو تمام^(٢) الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان في هذا

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ج ٢/٨٤٧: ٨٥٢. وإنباه الرواة على أبناء النحاة: المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م، ج ١/٣٢٠: ٣٢٣.

(٢) ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان البرمكي، تحقيق إحسان عباس دار صادر - بيروت، بدون طبعة، س ١٩٠٠ م. ج ٤: الطبعة الأولى، ١٩٧١ م، ج ٢/ص ١١. وطبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ٢٣٥. والموازنة: لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي، دراسة وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الرابعة،

العصر، هو حبيب بن تدوس النصراني، فغَيَّر فصار أوسًا، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨ هجريا تقريبا، كان أوحده عصره في ديباجة لفظه، ونصاعة شعره، وحسن أدبه، وكان له معايير فنية، ومفاهيم لغوية خاصة في تذوقه للشعر وتطويعه لها؛ للوصول إلى المعاني الجديدة غير المسبوقة، مما أدى به إلى الإغراب في سبيل هذا الغرض، حتى خرطه النقاد في زمرة مدرسة البديع.

يقول ابن المعتز في طبقاته: "كان مسلم بن الوليد صريع الغواني مداحا محسنا مجيدا مقلقا، وهو أول من وسع البديع؛ لأن بشار بن برد أول من جاء به، ثم جاء مسلم فحشًا به شعره، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه، وتجاوز المقدار". وقال الآمدي عن شعره: "وشعره لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة....".

ولقد تكونت مرحلة نظم شعر أبي تمام على ثلاث مراحل ذات خصائص متنوعة (التي هي ديوان يضم بين دفتيه قصيدة طويلة طولها ٧١٠٠ بيت استغرقت الديوان كله) استغرقت ثلاثا وثلاثين سنة، تنقص أو تزيد، وذلك نتيجة تأثر الشاعر بما يحدث حوله، فالشاعر نهر متدفق يحمل بين ثناياه تاريخ أمته وحضارتها، يؤثر فيها ويتأثر بها.

والمرحلة الأولى تعد طور التكوين والارتقاء، وهذا الطور يبدأ من مولده إلى سنة ٢١٤ هجريا. والمرحلة الثانية: طور الازدهار (ما بين ٢١٤، ٢٢٢ هجريا): وهي مرحلة معركة بابك الخرمي، فكان لأبي تمام علاقة بكل من شارك فيها من الوزراء، والكتاب، والشعراء، والأمراء، والساسة، ثم المرحلة الثالثة:

ج ١/ص ٤. وبديع التراكيب لأبي تمام، دكتور منير سلطان، مكتبة منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، ص ٢١.

طور التألق وهي مرحلة معركة عمورية، التي أعادت للإسلام عزته وللدولة كرامتها. وصار أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم، الذي تتخاطفه المجالس الأدبية، ووسعت عليه كتب الأدب، والنقد، والبلاغة، فتتلفظ أبياته وتتذوق إبداعاته، واستمر ذلك من سنة ٢٢٣ هـ إلى أن توفى سنة ٢٣١ هـ جريا.

والبحثري^(١): هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي، أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر شعراء عصرهم (العصر العباسي): المتبّي، وأبو تمام، والبحتري. ولد بمنبج سنة ٢٠٦ هـ جريا، ومدح جماعة من الخلفاء، أولهم المتوكل العباسي، وترسم البحتري خطى أبو تمام في الشعر، فهو أول من شهد له عند النعمان بالشعر، ومضى على أثره في البديع، إلا أنه أجاد سبك اللفظ على المعنى، كما أنه استمد معانيه من وحي الخيال وسحر الطبيعة، لا من العلم والمنطق والفلسفة كما فعل أبو تمام. وكان يسعى مثل شعراء عصره إلى الاكتساب من مدح الخلفاء والوزراء وغيرهم.

وقيل للبحتري أيهما أشعر أنت أم أبو تمام فقال: جیده خير من جيدي، وردئي خير من رديئه. وكان يقال عن شعره: سلاسل الذهب، وهو في الطبقة العليا. ويقال: أنه قيل لأبي العلاء المعري أي الثلاثة أشعر، أبو تمام أم البحتري أم المتبّي؟ فقال: "حكيمان، والشاعر البحتري"، وتوفى عام ٢٨٤ هـ جريا بمنبج تقريباً، وترك لنا ديوانا شعريا، وكتاب الحماسة كحماسة أبي تمام، به نتاج ضخم إثر قدرة شعرية وموهبة رائعة منحها الله إياها، في صورة سهلة رشيقة العبارة، قوية النسج. رحمهم الله جميعا، وغيرهم مما تركوا لنا تراثا نظل نفتخر به طيلة حياتنا.

(١) ينظر وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢١. والأعلام: لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م. ج ٨/ص ١٢١.

سبب تأليف الآمدي لكتاب الموازنة^(١):

حاول الآمدي أن يضع مؤلفاً قائماً على اعتماد الحق وتجنب الهوى في الحكم والموازنة بين الشعاعين، في تفضيل شاعر على آخر في القصيدة الواحدة، أو في المعنى الواحد؛ حيث اختلف الشعراء المتأخرون قبل الآمدي أيهما أشعر، وذلك لم يكن همَّ الآمدي، بل كان همُّه أن يبرز محاور الجدل بين أبي تمام والبحتري، فبدأ يقابل بين الحجج مرتبة، فظهر لنا أبو تمام وقد مثَّل المتكلمين، والبحتري وهو يُمثِّل المطبوعين، وقد ترك البت في الحكم على أشعارهما للقارئ.

أهم مقاييس الآمدي النقدية في الموازنة^(٢):

- نظرته للفن الشعري من خلال عمود الشعر.
- تأثر الأديب بالبيئة المحيطة فهو مرآتها.
- اهتمامه بالفطنة النفسية والإبداع الأدبي الذي يستثير القارئ.
- حتمية الذوق التفسيري في النقد (عمود الذوق).
- موقفه من السرقات الشعرية.

والمستنتج من قوله: "وأنا أبتدئ بذكر مساوي هذين الشعاعين، لأختم بذكر محاسنهما... ثم أوازن بين شعريهما..."^(٣)، أن منهج الآمدي الذي اتبعه في الموازنة هو:

- عرض آراء أنصار أبي تمام والبحتري.
- إظهار المعايير الشعرية عند الشعاعين.

(١) ينظر الموازنة ج ١/ ص ٣: ٦، ٥٧.

(٢) البلاغة ذوق ومنهج رؤية جمالية منهجية للدرس البلاغي الأمثل، دكتور عبد الحميد محمد العبيصي، مطبعة حسان - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٦١ بتصرف.

(٣) الموازنة ج ١/ ص ٥٧

- توضيح فضل الشاعرين.

- الموازنة أو النقد التطبيقي بينهما.

ثالثاً: معنى التصوير والدلالة:

إن **التصوير** هو القاعدة الأساسية وراء بلاغة الأسلوب، وهو لا يقتصر على التخيل والتجسيم، وإن كان يركز عليهما، بل هما الظاهرتان البارزتان وراءه، فقد يكون التصوير بالاستعارة أو التشبيه أو الكناية، وقد يكون أيضاً بغيرها: كالوصف والقصة والموازنة، ولذلك يجب توسيع دائرة التصوير لتشمل التناسق الذي يأتلف من التنسيق في تأليف العبارات باستخدام أيّ من الأساليب البلاغية بما يتناسب مع السياق، وتخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، والإيقاع الموسيقي، واصطفاء الكلمة التي تتماشى مع المعنى المراد، ومراعاة التسلسل المعنوي بين الأغراض والانتقال بينهما، أو يمكننا القول مراعاة حسن الابتداء والانتقال والختام، مع البحث وراء الدافع النفسي وراء النص، كل هذه مظاهر للتناسق الذي يبلغ فيه التصوير ذروة الفصاحة وأرقى درجات البلاغة^(١).

وعند الحديث عن **الدلالة** يكون المقصد هو: الدلالة الخاصة باللفظة المفردة، فيلاحظ الجانب الصوتي، والصرفي للكلمة، وأيضاً الدلالة الخاصة بالجملة أو العبارة، والجانب النحوي، وهذا هو الأصل في تماسك وترابط العبارة أو ما يسمى بالنظم، إلى جانب دراسة التعبيرات التي لا يكشف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها، أو بشكل أوضح يجب الأخذ في الاعتبار عند البحث في هذا العلم أن هناك ثلاثة مفاهيم هي: أولاً الكلمة: وهي الصوت الذي نسمعه أو الحرف الذي نكتبه أو نقرؤه، والمعنى وهو: المعنى الموجود في أذهاننا

(١) ينظر التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص ٨٧ / ٨٨.

والتصوير الفني في الحديث النبوي للدكتور محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٠.

لهذا الصوت أو الحرف، والمدلول عليه: وهو كائن موجود في العالم من حولنا، أو أنه يجب عدم الخلط بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي الذي نفتش وننقب للوصول إليه^(١).

الآبيات محل الدراسة:

باب في الحسد

قال أبو تمام:

مُشَمَّرٌ مَا يَكُلُّ فِي طَلَبِ الذِّ عَلِيَاءِ وَالْحَاسِدُونَ فِي طَلَبِ
أَعْلَاهُمْ دُونَهُ وَأَسْبَقَهُمْ إِلَى الْعُلَىٰ وَإِطْيَاءِ عَلَى عَقِبِهِ

وقال:

مُمْتَلِيءُ الصَّدْرِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ رَحْمَةِ مَمْلُوثِيهِنَّ مِنْ حَسَدِهِ

وقال:

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لَمْ تُلَقَّ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا

وقال:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ لِلْحَاسِدِ التُّعْمَىٰ عَلَى الْمَحْسُودِ

(١) ينظر في علم الدلالة للدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، س ١٩٩٧م، ص ٢٠. وعلم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ١٤/١٣. وعلم الدلالة علم المعنى للدكتور محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، س ٢٠٠١م، ص ١٤: ١٧.

وقال:

مُخَاِمِرِي حَسِدٍ مَاضِرٍ غَيْرُهُمْ كَأَنَّمَا هُوَ فِي أَبْدَانِهِمْ مَرَضٌ

وقال:

هُمُ حَسَدُهُ - لَأَمْلُومِينَ - مَجْدُهُ وَمَا حَاسِدٌ فِي الْمَكْرَمَاتِ بِحَاسِدٍ

وقال البحتري:

بِفَضِيلَةٍ فِي النَّفْسِ تُوجَدُ عِنْدَهُ بِفَضَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ^(٤)
وَمَحَلَّةٍ تَعْلُو فَتَسْقُطُ دُونَهَا هِمُّ الْعِدَى وَنَفَاسَةُ الْحُسَادِ

وقال:

صَغُرَتْ مَقَادِيرُ الرِّجَالِ ، وَقَارَبُوا فِي السَّعْيِ حَتَّى مَا تَرَى لَكَ حَاسِدًا^(٥)
لَوْ نَافَسُوكَ لِحَالِ السُّوْكِ مِنَ النَّدَى مَا يُصِلِحُونَ بِهِ الزَّمَانَ الْفَاسِدًا

وقال:

نَعَمْ اللَّهُ عِنْدَهُ ، وَعَلَيْهِ عِلَلٌ مَا يُبِيلُ مِنْهَا حَسُودُهُ

وقال:

حَادَ عَنِ مَجْدِكَ الْمُسَامِي وَأَمْعَدُ تَ عَلُوا ، فَصَدَّ عَنْكَ الْحَسُودُ

وقال:

مُحَسَّدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ

وقال:

مَكَارِمُ هُنَّ الْغَيْظُ بَاتَ غَلِيلُهُ يُضْرَمُ فِي صَدْرِ الْحَسُودِ الْمَكَابِدُ
وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ

وقال:

يَسَّ الحَاسِدُونَ مِنْكَ ، وَكَانُوا أَسْفَاً يَنْظُرُونَ نَحْوَكِ حَوْلَا
وَرَأَوْا أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا تِلْكَ لَكَ الْمَسَاعِي بِالْفِكْرِ ذَابُوا حَوْلَا
فَنَتَوَّعْنَا عَنْكَ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا لَمْ يَرُدُّوا إِلَّا حَسِيرًا كَلِيلَا
وَكَفَّانِي عَلَى الَّذِي يُوجَدُ الْفَضْلُ لُ لَدَيْهِ بِالْحَاسِدِينَ دَلِيلَا

وقال:

يَسَّ الحَاسِدُونَ مِنْكَ ، وَمَا مَجَّ مُدَّكَ مِمَّا يَرْجُوهُ ظَنُّ الحَسُودِ

وقال:

وَمَلَأَتْ أَحْشَاءَ الحَسُودِ بِلَابِلًا فَارْتَدَّ يَحْسُدُ فَيْكَ مَنْ لَمْ يَحْسُدُ

وقال:

وَيُرْدُ غَرْبَ مُسَاجِلِكَ إِذَا غَلَوَا سَعَى أَطْلَتْ بِهِ عَنَاءَ الحَاسِدِ
جَهْدُوا عَلَى أَنْ يَلْحَقُوكَ وَأَفْحَشُوا حِرْمَانِ يُقَدِّرُ لِلْحَرِيصِ الجَاهِدِ

وقال:

فَنَيْتُ أَحَادِيثَ النَّفُوسِ بِذِكْرِهَا وَأَفَاقَ كُلِّ مُنَافِسٍ وَحَسُودِ
وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى نَعْبًا كَظَنَّ الخَائِبِ المَكْثُودِ

وقال:

شَغَلَ الحَاسِدِينَ أَنْ لَمْ يَبَيِّنُوا قَطُّ مِنْ هَمِّهِ وَلَا أَشْغَالِهِ
فَاضِحاً سَعِيَهُمْ إِذَا مَا تَعَاطَوْا سَعِيَهُ فُحْشُ نَقْصِهِمْ عَنْ كَمَالِهِ

وقال:

لَا يَقْتُلِ الحُسَادُ أَنْفُسَهُمْ فَقَدْ هَتَكَ الصَّبَاحُ دُجَى الهَزِيغِ المُظْلِمِ

وقال:

هُبِلَ الحَسُودُ لَقَدْ تَكَلَّفَ خُطَّةً تُبْدِي الخِزَايَةَ فِي وُجُوهِ الحُسَدِ
لَوُمْتَ خَلَايِقَهُمْ فَكَذَّبَ سَعِيَهُمْ عَنْ سَعِيِ فَرْدٍ فِي المَكَارِمِ أَوْحِدِ

وقال:

وَكَمْ أَنَا نَفْتُ مِنَ الأَبْنَاءِ مَائِرَةٌ مَشْهُورَةٌ تَدْعُ الأَبَاءَ حُسَادًا

المبحث الأول

المحسود وعلو منزلته (بين التصوير والدلالة)

لا يُحَسِّدُ إلا ذو نعمة، وجميعنا من أولي النعم، إلا أن الحاسد يرى في نفسه نقصاً من نعمةٍ بعينها، فيتمنى زوالها من محسوده ودفعها إليه؛ حتى لا يراه أفضل منه. وفي هذا المبحث عبر الشاعران عن علو المحسود بمعنيين وهما: كثرة نعم وفضائل المحسود، واستحواذ المحسود على النعم.

أولاً: كثرة نعم وفضائل المحسود:

قول^(١) البحترى يمدح المعتمد على الله:

بِفَضِيلَةٍ فِي النَّفْسِ تُوجَدُ عِنْدَهُ بِفَضَائِلِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ^(١)
وَمَحَلَّةٍ تَعْلُو فَتَسْقُطُ دُونَهَا هِمُّ الْعِدَى وَنَفَاسَةُ الْحُسَّادِ

جرت عادة الشعراء عند الشروع في كتابة الشعر الاعتماد على المدح؛ سبيلاً في طلب الرزق والمال، وكان البحترى من بينهم، فمدح كثيراً من الخلفاء،

(١) ديوان البحترى، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، ج ٢/ص ٧٣٣. والموازنة ج ٣/ص ١٢٠. معنى محلة: حلٌّ بالمكان يُحَلُّ حلولا وَمَحَلًّا وحلًّا وحَلًّا: نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال، والمَحَلُّ: الموضع الذي يُحَلُّ فيه. وتعلو: من علا في الجبل والمكان وعلى الدابة وكل شيء، وعلاه واستعلاه واعتلاه أي: سكنه واستقر به. ومعنى نفاسة: النفس العين، والنفوس العيون الحسود المعين لأموال الناس ليصيبها، ويقال نَفَسَ عليك فلان ينفس نفساً ونفاسة أي: حسدك. لسان العرب مادة (ح ل ل، ع ل و، ن ف س).

والوزراء، ومن لهم صيت، ومدح المعتمد بأنه محلى ومطعم بفضائل الآباء والأجداد، فهو حامل رايته، وحافظ لها، ذو منزلة عظيمة، وصفات حميدة، تلو فيسقط على إثرها همم الأعداء وحسد الحاسدين.

وإذا نظرت للتصوير عند البحري لوجدته قد اعتمد على الكناية؛ حيث أتى البحري بالكلمة وجمعها (بفضيلة، بفضائل)؛ ليبين أن الفضيلة التي في نفسه بمقدار فضائل الآباء والأجداد نفسها، ومستمدة منها، بل وشاملة لها، كناية عن تحليته بالأخلاق، وطيب الأصل، ومعرفة الأعراف؛ إذ إن هذه الصورة ضمن أبيات يمتدح فيها الشاعر المعتمد، والبيت من قبله يقول:

أَفْضَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَصَادَفُوا أَدْنَى الْبَرِيَّةِ مِنْ تَقَى وَسَدَادِ
لذا أتى بالباء السببية في كلمة (بفضيلة)؛ ليبين سبب وثوقهم به ومعاهدتهم له.

وأضاف كلمة الأجداد مع جواز اكتفائه بفضائل الآباء؛ ليضفي على الجملة جواً من الأصالة والعموم، فهذه الفضائل منذ القدم تُعلي من شأن صاحبها، والممدوح على صلة وثيقة بها. وهذا من رد العجز على الصدر أيضاً؛ فقد وقع أحد اللفظين في منتصف الصدر (بفضيلة)، والثاني في صدر المصراع الثاني (بفضائل)؛ ليجعل الشاعر كلامه محل صدق وتسليم، فمن سمع الكلمة الأولى تيقن من الإتيان بالثانية، كناية عن شهرة ممدوحه بذلك.

وأتى بمحسن بديعي معنوي آخر بالبيت الثاني وهو الطباق، بين كلمة (تلو وتسقط)؛ أكد به المعنى، وجعل له وقعا مؤثرا في النفس، فالممدوح حينما يعلو بمكان يُفسد على الأعداء والحساد تدبيرهم.

وتراه قد وصل بين البيتين للتوسط بين الكمالين؛ فالجملتان خيريتان لفظاً ومعنى، أدى الجمع بينهما إلى نسب كلتا الصفتين للممدوح، فهو ذو فضائل جمة ومقام عال.

وإضافة همم إلى الأعداء على سبيل الاستهزاء والتهكم؛ فالهمة والجهد شيء لازم للنجاح، ولكنها عندما أُسندت إلى الأعداء بيَّنت أن هذه الهمم ضائعة لا سبيل لها سوى السقوط والانهايار.

وناسبت لفظة (نفاسة) للحساد، و(همم) للأعداء؛ إذ إن الحساد لا يملكون سوى العين التي تقضي على محسودها، فهم كسالي لا يبذلون الجهد من أجل تحقيق ذواتهم مثل الممدوح، أما كلمة (العدو) في الأصل مأخوذة من عَدَوَ أي: ركض وجرى، فهو يحاول إيذاءك وملاحقتك بكل ما لديه من إرادة وعزيمة، لكن الحقد الذي يحمله في صدره وبين أضلعه يثقله ويضعف من موقفه ويؤخره. ويمكنك القول بأن الشاعر شخَّصَ الهمم والنفاسة وشبهها بالشيء الذي يُلقى فيسقط، ولا يوجد له أثر، على سبيل الاستعارة المكنية؛ لزيادة التحقير والتهكم بهؤلاء الحسَّاد.

كل هذه التراكيب والألفاظ التي حوت عليها الصورة قوّت من التصوير لدى البحترى، فلم يعتمد تصويره على جملة كنائية واحدة، بل البيتان بتفاصيلهما صورة كنائية عبرت عن المعنى الذي أراده الشاعر.

وبالملاحظة تجد أن محور البيت والمعنى الأم هو: (حال الحاسد تجاه نعم الممدوح وفضائله)، والذي يتضح في قول البحترى بالبيت الثاني:

وَمَحَلَّةٌ تَعْلُو فَيَسْقُطُ دُونَهَا هِمْمُ الْعِدَى وَنَفَاسَةُ الْحُسَّادِ

حيث صور البحترى فضيلة الممدوح تسكن مكانا عاليا، لا يستطيع الأعداء والحساد الوصول إليها، فمهما تكاتفت كل الهمم لديهم تسقط دونها.

أي أنه ركز على عدم نوال الحاسد من نعم الممدوح، أو المساس بها، فهي محفوظة، ومصانة من أعينهم^(١).

(١) وتوجد صورة لأبي تمام، لم يذكرها الأمدي، وتعبّر عن المعنى نفسه، بديوانه بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف القاهرة الطبعة الرابعة، ج ٢/ص ٨- يقول فيها:

كَم نِعْمَةٍ زَيْتَنِي بِسُمُوطِهَا كَالعِقْدِ فِي عُنُقِ الكِعَابِ النَاهِدِ
غَادَرَتْهَا كَالسُّورِ عُولِي سَمَكُهُ مَضْرُوبَةً بَيْنِي وَبَيْنَ الحَاسِدِ

حيث اعتمدت صورة أبي تمام على التجسيم والتشخيص، وابتدأها بالتجسيم فجعل للنعمة سمطا على سبيل الاستعارة المكنية، ومعلوم أنه ليس للنعمة سمط؛ فهي شيء معنوي، وإنما ذلك كله على سبيل التخيل؛ ليبالغ من فرط نعم الممدوح عليه، وجملة زيتنتي ترشيح للاستعارة. كما جعل للنعمة سمطا وليس مخنقة؛ لتكون متدلّية، ومنسدلة عليه، وواضحة الرؤية. ولما كان الشاعر بارعا في تصوير عطايا الممدوح وقيمتها براعة المصور الماهر؛ عانق بين الصور البيانية، ولجأ إلى التشبيه التمثيلي، فشبّه حاله مع نعم الممدوح وقد تزين بها، بحال الفتاة مع عقدها وقد تزينت به، أو شبّه حال النعم وقد تزين بها الممدوح بحال العقد الذي تزينت به الفتاة الجميلة. ثم جاء بتشبيه آخر للنعم، وهو السور السميك الذي حال بينه وبين حاسديه. وهذا تشبيه متعدد؛ حيث شبّه النعم مرة بالطوق (العقد)، ومرة أخرى بالسور. وإذا نظرت لبداية الصورتين، تجد أن البحترى أراد إظهار فضائل الممدوح؛ حيث إنه يحظى بجميع الخصال الحميدة للأبَاء والأجداد، لكن أبا تمام تفوق عليه في تشبيه النعمة وأثرها الظاهر عليه بالعقد في عنق الفتاة الجميلة، كما أن البحترى عبر عن نعمة أبي تمام بلفظة فضيلة، ويتفقد الجوانب الفنية من حيث ما هو متعلق بالنفس تجد ثمة فرق بين اللفظتين؛ حيث إن الفضيلة يراد بها الدرجة الرفيعة في الفضل، أي: في القدر والمنزلة، وهذا مناسب لسياقه وإفشاء المسلمين له، بينما يتحدث أبو تمام عن نعم الممدوح التي يكتسبها منه، فالنعمة هي الرفاهية وطيب العيش، والذي بدأ قصيدته بالوقوف عليها عندما قال:

أزُوِيَتْ ظَمَانُ الصَّعِيدِ الهَامِدِ وَمَلَأَتْ مِنْ جِرْعَيْكَ عَيْنَ الرَّائِدِ
ولكن البحترى أجاد في جعل فضيلته كفضائل الأبَاء والأجداد؛ دلالة على زيادة قدرها،

=

ثانياً: استحواذ المحسود على النعم:

قول^(١) البحرى وهو يمدح إسماعيل بن بلبل:

صَعَّرَتْ مَقَادِيرُ الرَّجَالِ ، وَقَارَبُوا فِي السَّعْيِ حَتَّى مَا تَرَى لَكَ حَاسِدًا
لَوْ نَافَسُوكَ لَخَالَسُوكَ مِنَ النَّدَى مَا يُصَلِّحُونَ بِهِ الزَّمَانَ الْفَاسِدًا

وقوله^(٢) يمدح إسماعيل بن بلبل:

نَعْمُ اللَّهُ عِنْدَهُ ، وَعَلَيْهِ عِلَّلٌ مَا يُبْلِ مِنْهَا حَسُودَةٌ

وقوله^(٣) أيضاً في مدح الفتح بن خاقان:

- وهذا ما حاول أبو تمام التعبير عنه باستخدام (كم) الخبرية في قوله: (وكم نعمة زيننتي بسموطها) كناية عن الكثرة، فهو يخبر بأن الممدوح له كثير من الحاسدين بسبب كرمه وجوده. كما أن الفعل (توجد) في قول البحرى: (بفضيلة في النفس توجد عنده) جعل هذه الفضيلة تجدد نفسها بنفسها. وعلى الرغم من جعل البحرى فضائل الممدوح تُسقط هم الأعداء والحساد إلا أن أبا تمام صور تلك الفضائل أو النعم بالسور العالى السميك الذى يضرب بينه وبين الحاسد فلا يستطيع أحد الاقتراب منه، والفعل (غادرتها) أي: أبقيتها، دلّت على ديمومة هذه النعم، فهي حاجبة عنه السوء وياقية على حمايتها له، والفعل (عولى) بينائه للمجهول أفاد التعظيم، وهذا التصوير أبلغ من تصوير البحرى.
- (١) ديوان البحرى ج ٢ / ٨٢٤ ، ٨٢٥ . والموازنة ج ٣ / ص ١١٩ . ومعنى خلس الشىء خلسا: استلبه في نُهْرَةٍ ومخاتلةً، وموت خالس: يختلس النفوس على غفلة. لسان العرب مادة (خ ل س).
- (٢) ديوان البحرى ج ٢ / ٧٥٣ ، والموازنة ج ٣ / ص ١١٦ . ومعنى علل بفتح العين وهي الرواية الأجود في الموازنة عن الديوان، والعلل هو الشرب الثانى، وبلى من مرضه أي: شفى. لسان العرب مادة (ع ل ل ، ب ل ل).
- (٣) ديوان البحرى ج ٢ / ص ٧٢٢ . والموازنة ج ٣ / ص ١١٧ . يَجِيدُ حَيْدًا وَحَيْدَانًا وَمَجِيدًا وَحَيْدُودَةٌ: مال عنه وعدل، والصَّدُّ: الإعراض والصدوف، وصدّ عنه يصدّ صدًّا وصدودًا: أعرض. لسان العرب مادة (ح ي د ، ص د د).

حَادَ عَنْ مَجْدِكَ الْمُسَامِي وَأَمَعَدَ سَتَ عُلُومًا ، فَصَدَّ عَنْكَ الْحَسُودُ
بهذه الصور الثلاث جعل البحثري لمدوحه من الندى ما يصلح به
الزمان الفاسد، وأضاف له نعم الله كلها، لذا حاد الحاسد عنه؛ لأن طرقهم مختلفة
فلا يتقابلان.

وتهكم البحثري -في صورته الأولى- بأعداء مدوحه؛ حيث جعلهم
لا يستطيعون منافسته، ولو استطاعوا لسرقوا من جوده ما يصلحون به الزمان
الفاسد فقال:

صَغُرَتْ مَقَادِيرُ الرِّجَالِ ، وَقَارَبُوا فِي السَّعَى حَتَّى مَا تَرَى لَكَ حَاسِدًا
لَوْ نَافَسُوكَ لَخَالَسُوكَ مِنَ النَّدَى مَا يُصَلِّحُونَ بِهِ الزَّمَانَ الْفَاسِدًا

أي: ساءت أخلاق الرجال، وتغيرت طبائعهم؛ إذ إن الحاسدين يسعون وراء
مدوحه على قدم وساق؛ حتى يقضون عليه وعلى أفضاله التي هي سبيل
التفاف الحساد من حوله، مبالغة في كرم الممدوح.

واعتمدت صورة البحثري هنا على المجاز بداية من المجاز اللغوي؛ حيث
شبه أخلاق الرجال ومكانتهم بالشيء الذي ينكمش ويصغر بسبب سوءه،
فانكماش الثوب دلالة على رداءته، على سبيل الاستعارة المكنية؛ ليوضح فناء
أثر كرمهم أمام كرم الممدوح. ثم أتى بالمجاز العقلي في جملة (يصلحون به
الزمان الفاسد) علاقته السببية؛ حيث إن الندى لا يصلح الزمان بل الله -تعالى-
هو المصلح، ولكن الإصلاح سيكون بسبب الندى المسلوب من الممدوح،
أي لا يوجد له منافسون في الكرم والعطاء. ووصف الزمان بالفاسد على سبيل
التجوز في النسبة الوصفية؛ فالزمان ليس بفاسد بل أخلاق الناس الذين يعيشون
به هي الفاسدة.

وقوى هذا التصوير ببعض من التراكيب والألفاظ:

فأتى بلفظة (صغرت) مع لفظة (الرجال) بها ما بها من التعريض؛ إذ إن أخلاق الرجال الحقيقية مغايرة لهذا الصغر، فتراه يتهمك بهم وينزع صفة الرجولة منهم.

ولم يقل: يسعون، بل قال: قاربوا في السعي؛ لأنه عندما نفى رجولتهم جعل سعيهم غير كامل؛ فقد أوشكوا عليه ولم ينتهوا منه؛ إذ لا يتحملون مشقته ولا يصبرون على عنائه، لذا وصل الشاعر بين الجملتين (صغرت مقادير الرجال) و(قاربوا في السعي)؛ للتوسط بين الكمالين، فالجملتان متفقتان في الخبرية لفظاً ومعنى، استمراراً منه في التعريض بهم.

ثم أتى بقوله: (حتى ما ترى لك حاسدا)؛ و(حتى) هنا غائية، وضابطها: أنه يصح حذفها ووضع (إلى أن)، فيستقيم المعنى أي: قاربوا إلى هذه الدرجة، أو دنوا إلى هذه المكانة على اعتبار شدة التردد والمراقبة منهم له في هذه الحالة، كناية عن تمنى سقوطه وزواله.

ولكن البحري يخيب ظنهم في البيت الثاني باستخدام (لو) الشرطية، التي تفيد امتناع الامتناع، أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط في قوله: (لو نافسوك لخالسوك من الندى)؛ ليفسد عليك تحقق هذه المنافسة، بل عليك تخيلها فحسب، فلو نافسوا الممدوح في الكرم والجود لم يستطيعوا الوصول إليه، بل هم قادرون على الخلس والسرقة، وإذا اختلسوا من نداء وكرمه لأصلحوا بما اختلسوه الزمان الفاسد، ولذلك أتى باللام في جواب الشرط؛ للتأكيد على صواب ما يقول^(١).

(١) ولأبي تمام صورة تشبه صورة البحري (بديوانه بشرح التبريزي ج ٢/ ٥٢، ٥٣) ولم يذكرها

الآمدي في هذا الباب وهي:

لو يعلم العافون كم لك في الندى *** من لذة وقريحة لم تُحمدِ
وكأنما نأسنت فدرك حظّه *** وحسدت نفسك حين أن لم تُحسدِ

=

وإذا نظرت إلى البحترى ونظمه وهو يقول:

نِعْمُ اللهُ عِنْدَهُ ، وَعَلَيْهِ عِلْلٌ مَا يُبْلُ مِنْهَا حَسُودَةٌ

أتت (علل) بفتح العين ويكسرهما، ولكل منهما معنى: فإذا فتحنا العين وقلنا: (عَلَّل) يكون المعنى: أن الممدوح يمتلك الكثير من الخيرات، فهو ينهل منها مثل شارب الماء، يشرب ثم يشرب شربة ثانية؛ لتشبعه وتفيض، وذلك يدل على الكثرة. وإذا كسرت العين في (عِلَّل) يكون المعنى: إن كثرة خيراته ومشاغله وهمومه بمساعدة الآخرين تُمرضُ الحسود، فلا يُشْفَى أبدا.

اعتمد تصوير البحترى على الكناية، فأتى بالجملة في صورة خبرية حينما قال: (نِعْمُ اللهُ عِنْدَهُ)؛ ليؤكد صدق ما يقول من كثرة نعم الممدوح، فنعم الله لا تعد ولا تحصى، ولكنه تعالى آتاه منها ما كثر عن عباده.

وكلمة (عنده) ظرف مكان دلل على وجود الجود والنعم في يد الممدوح، فهو المالك لها. ولو قال (عنده نعم الله) على سبيل القصر لكان أبلغ.

ثم حذف المسند إليه في قوله: (وعليه علل) على سبيل الإيجاز، والتقدير: (وهي كالعلل عليه)، فتراه قد شبه كثرة الخيرات في يد الممدوح بالماء الذي

وهذه صورة جيدة في منافسة الممدوح لنفسه على سبيل المبالغة وبناء البيت على التجريد، إلا أن صورة البحترى -على أغلب ظني- أبلغ؛ لإتيانه بالمجاز العقلي في قوله: (يصلحون به الزمان الفاسد)؛ لأن البيت لم يقتصر على فوز ممدوحه في تلك المنافسة فحسب، بل جعلهم سارقين لنعمه ناكرين أفضاله، والممدوح لم يتركهم وشأنهم بل أظهر البحترى -من وراء حجاب- قدرة الممدوح في الإصلاح، فقد أفسدوا الزمان، وقَدَّرَ سَيِّئًا (من) نداء سيصلحه ويصلحهم ، أما تعبير أبي تمام بقوله: (كم لك في الندى من لذة وقريحة) الذي هو كناية عن كثرة الجود، ومنه إلى كثرة الحسد، ومنه إلى علو المنزلة، أبلغ من قول البحترى: (كم لك في الناس من حاسد) بالتصريح.

يفيض، فيشرب منه مرة بعد مرة ولا ينتهي، ويزيد من ذلك، قدم المتعلق (عليه)؛ لإفادة القصر.

والحرف (على) في قوله: (عليه) مستعمل في غير ما وضع له؛ لأن خيرات الممدوح (لديه) وملك له، ولكن الشاعر أراد أن تشمله كالقبة المضروبة عليه من فوقه، فعبر بالحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء على سبيل الاستعارة التبعية في الحرف.

واكتفى البحتري في صورته الأولى بجعل نعم الممدوح حامية من الحساد، دون ذكر عاقبة الحاسد، الذي ذُكِرَتْ هنا عندما قال: (ما يبيل منها حسوده)، أي: تلك النعم أسقمتهم سقما دائما، لا شفاء منه، دلالة على فناء الخطر الناجم عنهم.

وقال البحتري أيضا:

حَادَ عَنِ مَجْدِكَ الْمُسَامِي وَأَمَعَدَ سَتَ عُلُوًّا ، فَصَدَّ عَنْكَ الْحَسُودُ

اعتمدت هذه الصورة على الوصف الدقيق لحال الحاسد والمحسود فيقول: إن المنافس المباري مال عن مجدك وانصرف عنه؛ بسبب بعده عن منزلتك، وعدم معرفة الطريق الذي يمكنه الوصول من خلاله، لذا عبر بالأسلوب الخبري المبدوء بالفعل الماضي (حاد) المتحقق الوقوع، وأضاف الضمير المتصل لكلمة المجد فقال: (مجدك)؛ ليجعل المجد ملكا، له، فلا مجد إلا مجده.

وربط بين الجملة الأولى (حاد عن مجدك) والثانية (أمعنت علوا) بالواو؛ للتوسط بين الكمالين؛ ليريك العلاقة العكسية بين المحسود والحاسد؛ فإنك تعلق وهو يهبط للأسفل، ومن كثرة العلو أصبحت فوق الجميع، ومن يستطيع القرب من الشمس؟! لذا هجرك الحاسدون رُغما عن أنفسهم، فهم عاجزون عن الصعود إليك.

ثم أتى بالنتيجة فقال: (فصد عنك الحسود)، الفاء في "فصد" تفيد سرعة التعقيب؛ ليريك ما يفعله الطرفان، فأحدهما يحيد، والآخر يجيد الوصول. وأوجز في هذه الجملة حيث حذف المسند إليه وهو "العلو"؛ لدلالة السياق عليه، والتقدير: صدَّ العلو عنك الحسود، وإسناد الصد إلى العلو مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأنه بفضل الله جل جلاله صدَّ عنه الحسود، والعلو سبب في بعدهم عن الممدوح.

وناسب هذا المعنى الفعلين: (حاد وصدَّ) للمنافسين والحاسدين، ممن يليق بهم العجز، و(أمعنت) للممدوح التي تدل على دقة النظر وإجادة ما يفعله، فكما ينوي فعل شيء يدقق النظر فيه؛ حتى يظهره في صورة جميلة تليق به.

وتجد أن المعنى المتحد في صور البحثري هو (انعدام الحسد مع الممدوح)؛ فالجملة المحورية في صورته الثلاث على الترتيب هي: (حتى ما ترى لك حاسدا)، وقوله: (ما يبيل منها حسوده)، وقوله: (فصد عنك الحسود)^(١). وجاء تصوير البحثري متنوعا في هذا المبحث؛ حيث أتى مرة بالكناية، ومرة بالوصف، فعبر بهما عن المعنى المراد بإيجاز بليغ غير مخل، واتخذ مرة أخرى الأسلوب المجازي -سواء العقلي أو اللغوي- وسيلة لتصويره؛ ليصل إلى المعنى المراد، مع جزالة الألفاظ، ودقة النظم؛ حيث تميز في المعنى الذي يقول: إنَّ ندى الممدوح إذا اختلَّس سيصلح الزمان الفاسد، فهو معنى جيد، أصاب فيه خير إصابة، يكشف عن شاعرية البحثري.

(١) والجملة المحورية في صورة أبي تمام التي ذكرتها في الهامش: (وحسدتَ نفسك حين لم تُحسد).

المبحث الثاني:

اقتران الحسد بالنعمة (بين التصوير والدلالة)

اختلف تصوير أبي تمام عن تصوير البحتري في هذا المعنى؛ فقد لجأ كل منهما إلى التصوير بالوصف، وانفرد أبو تمام بالتصوير بالكناية. قول^(١) أبي تمام يمدح محمد بن عبدالله بن صالح الهاشمي:

مُشَمَّرٌ مَا يَكِلُ فِي طَلَبِ الذِّعْلِيَاءِ وَالْحَاسِدُونَ فِي طَلْبِهِ
أَعْلَاهُمْ دُونَهُ وَأَسْبَقَهُهُمْ إِلَى الْعُلَىٰ وَإِطَىٰ عَلَىٰ عَقْبِهِ^(٢)

مع قول^(١) البحتري يمدح أبا نوح عيسي بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان:

مُحَسَّدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النِّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ

يقول أبو تمام: إن ممدوحه لا يكل في طلب العلا؛ وذلك سبب تهافت الحاسدين عليه، فلا يسبقه منهم أحد، بل أعلاهم أدنى منه، وجميعهم على عقبه. بينما يمدح البحتري أبا نوح بالصفات الفاضلة التي جلبت له الحسد، وذلك لا جديد فيه، فالنعماء والحسد وجهان لعملة واحدة.

اعتمد التصوير لدى أبي تمام والبحتري على الوصف، ولكنه اختلف في النظم والصنعة، فبنى أبو تمام الكلام على حذف المسند إليه، أي: "هو مشمَّر"، وهذه وسيلة الشاعر في سرعة إبراز المعنى بعده، وهو كلمة "مشمَّر" التي تدل على الجد والنشاط والهمة في اكتساب العلياء، والوصول لها بشتى السبل.

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١/٢٧٢. والموازنة ج ٣/ ص ١١٦.

(٢) ديوان البحتري ١ / ٤٩٦. والموازنة ج ٣/ ص ١١٩.

وتشديد العين في كلمة "مشمّر" تدل على المبالغة في حسن التنظيم والإرادة من أجل وصوله إلى هدفه.

وبناء البحثري يشبه بناء أبي تمام في حذف المسند إليه، فقال: "محسّد"، أي: (هو)؛ لإبراز المعنى بعده، مع التشديد أيضا الذي بالغ في كثرة الحسد. ولكن أبا تمام قد آثر الوصف الدقيق لممدوحه فعبر بجملة "ما يكل في طلب العلياء" جملة مؤكدة لما قبلها، تدل على إظهار إرادة وعزيمة الممدوح، وتنفي عنه التعب أو اليأس، بل هو مثابر في طلب العلا، لذا فصل بينها وبين "مشمّر" لكمال الاتصال. وعطف الشطر الثاني (والحاسدون في طلبه) على الأول (مشمّر ما يكل في طلب العلياء)؛ للتوسط بين الكمالين؛ فالجملتان متفقتان في الخبرية لفظاً ومعنى؛ ليؤكد على اقتران النعمة بالحسد دائماً.

واستزاد وصفه في البيت الثاني بالطباق بين (أعلاهم، دونه) الذي قوى المعنى ووضحه؛ لدرجة تصل إلى أن الحاسدين يتسابقون في طلبه أيهم يحسده؛ لينالوا منه بالوقية، ولكن هذه عادتهم في طلب المجد، حيث إن أعظم حاسديه لا يدرك علوه، ومعلوم أن الطباق يضيف إلى الصورة قوة وحسناً، فالضد يظهر حسنه الضد. ويجانب وضوح المعنى، تم به ترابط الأسلوب وتلاحمه. وعندما تسرح بنظرك ترى جملة (أسبقهم في العلى) و(واطئ على عقبه) بهما نغمة موسيقية عالية تحققت في المقابلة وصحة التقسيم.

في حين أن البحثري اقتصر على قوله: (محسد بخلال فيه فاضلة)؛ فأتى بالباء السببية في قوله: (بخلال)؛ ليوضح سبب حسده، فترى في أسلوبه بلاغة الإيجاز.

ثم فصل بين النعت والمنعوت (بخلال، فاضلة) بالجار والمجرور (فيه) الذي يفيد التخصيص، فهو يتحدث عن الممدوح لا غير.

ثم نفى وجود أي فرق بين النعماء والحسد بالتذييل الجاري مجرى المثل: (وليس تفترق النعماء والحسد)؛ ليوضح أنهما مجتمعان دائماً، بينهما علاقة

طردية أي: زيادة النعماء يوازئها زيادة في الحسد. و(ليس) كلمة تدل على نفي الحال، وهو فعل لا يتصرف، وعملها رفع الاسم ونصب الخبر؛ لأنها تدخل على الأسماء. فحذف الشاعر اسم ليس وهو ضمير الشأن، والجملة الفعلية بعدها في محل نصب خبر لها، والتقدير (ليس الشأن أن تفترق النعماء والحسد)، فحذف الضمير وأدخلها على الفعل المضارع؛ لأنه يلوذ بذكر مراده، وهو نفي الافتراق بين النعماء والحسد.

ويمكن تقدير الجملة على التقديم والتأخير، ويكون أصل المعنى (ليس النعماء والحسد تفترق)، فيكون الغرض من تقديم الجملة الفعلية هو: دوام الاقتران بينهما.

وبالملاحظة تجد أن البحثري اكتفى بوصف ممدوحه بالأخلاق والفضائل دون النظر إلى حال حاسديه، بينما ركز أبو تمام على صفة التحدي والمثابرة لدى الطرفين -الحاسد والمحسود- وإخفاق المحسود في محاولاته الدنيئة؛ بسبب نواياه السيئة.

وصور أبو تمام المعنى نفسه بالكناية في بيتيه:

قوله^(١) وهو يمدح خالد بن يزيد بن مزيّد الشيباني من "المنسرج":

مُمْتَلِيءُ الصَّدْرِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ رَحْمَةٍ مَمْلُوءِهِنَّ مِنْ حَسَدِهِ
وقوله^(٢) في مدحه أيضًا من "الكامل":

وَإِذَا سَرَّحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لَمْ تَلْقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ١/ ص ٤٣٧، والموازنة ج ٣/ ص ١١٥. والمعنى:

أي من رحمة رجل مملوء الصدر والجوانح من حسده.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ١/ ص ٤١٩. والموازنة ج ٣/ ص ١١٥.

في الصورة الأولى مدح أبو تمام خالد بن يزيد بأن رحمته ملأت صدره وضلوعه من كثرتها، وسبب كثرة هذه الرحمة كثرة الحاسدين. بينما قال في صورته الثانية: إنك إذا أطلقت عينيك للنظر إلى الممدوح، وللنظر حول قبابه لم تجد إلا كرما ونعما مع كثرة الحاسدين.

فجاءت الصورة الأولى كناية عن ملازمة الحسد للنعم؛ حيث إن الحاسد لا يتجه إلا لذوى المجد والشرف، بينما جملة "حول قبابه" في صورته الثانية كناية عن منزلته العالية التي ترتفع بارتفاع القبة. ويمكن أن يقصد بها إطلاق الجزء على الكل، أي: أطلق القباب والمقصود قصره. فالقبة جزء من القصر، وهي أعلى مكان به، فتكون الصورة مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وحذف المسند إليه والتقدير (هو ممتلئ)؛ لتعظيم ممدوحه وتضخيم المعنى القائم من كنياته، حيث إن السياق يمدح خالد بن يزيد الشجاعة في الوعى^(١)، ورغم ذلك فرحمته واسعة.

وعبر بالمصدر "ممتلئ" ولم يقل يمتلئ؛ لأن الاسم يفيد الثبات في المقدار، فمقدار الرحمة بداخله ثابت لا ينقص ولا يزيد؛ لأنه لا يوجد فراغ في صدره يمكن دخول الرحمة إليه، فهو كالكوب الذي وصل الماء فيه إلى الفوهة، أما الفعل "يتملئ" مع أنه يفيد التجدد والاستمرار، إلا أنه يوحي بأن الرحمة متغيرة يمكن أن تزيد بعد نقصان، وهذا مالا يريده أبو تمام.

وقوله: (ممتلئ الصدر) مجاز مرسل؛ فقد عبر بالجزء وأراد الكل، أي: ممتلئ النفس؛ لأن الصدر مكان القلب والشعور. ثم عطف الجوانح على الصدر؛ للمبالغة في الاتساع، ومنه المبالغة في قدر رحمته.

(١) يقول في البيت من قبله: نُضْرِمُ نَارَهُ فِي قَرَى وَوَعَى *** مِنْ حَدِّ أَسْيَافِهِ وَمِنْ زُنْدِهِ

..... أي: ناره في الوعى من حد أسيافه، وفي القرى من زنده، جمع زناد. ديوان أبي تمام

بشرح التبريزي ج ١/ ص ٤٣٧.

وتميز التصوير بالكناية في الصورة الثانية بأسلوب الشرط الذي أفاد التأكيد في قوله: (وإذا سرحت الطرف حول قبابه)؛ حيث أكد على عظم ملكه الذي استدعى الكناية بسرح الطرف^(١)، وقد اكتمل المعنى ونضج بجواب الشرط وإتيانه على صورة أسلوب القصر في الشطر الثاني، وهو من قصر الموصوف على الصفة عندما قال: (لم تلق إلا نعمة وحسودا)، فقصر الممدوح على امتلاكه لتلك الصفتين معا، واختصاصه بهما، والتأكيد على تلازمهما، على سبيل المبالغة والادعاء في مدحه.

وإذا دقت النظر في الصورة الأولى لوجدتها من قبيل الإخلال بفصاحة الكلمات؛ حيث إن (من) الأولى تبعيضية، والثانية في قوله: (من حسده) تعليلية، وعند النظر إلى البيت من الوهلة الأولى يلتبس المعنى في كليهما. وهذا الإخلال جعل الصورة الثانية أبلغ منها.

وأخيرا تجد أن أبا تمام قد أكثر من معنى اقتران الحسد بالنعمة، وعبر عنه بالتوغل في علم المعاني، فأكثر من حذف المسند إليه، والتفاتته إلى التقديم والتأخير، وتنوع تصويره باستخدام ألوان البيان المتعددة: الكناية والمجاز المرسل.

أما البحثري مع أنه كان مُقِلًّا في التعبير عن هذا المعنى إلا أنه تميز بوضوح التعبير وسلاسته، وحسن الإيجاز في قوله:

مُحَسَّدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَليْسَ تَفْتَرِقُ التَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ
وهذا ما اشتهر به البحثري من قوة الألفاظ، وسهولة في التعبير عن المعنى.

(١) يقول في البيت من قبله: أَيْقَنْتُ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شِجَاعَةً *** تُدْمِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودًا أي: يَتَسَخَى فِي الْحَرْبِ بِنَفْسِهِ، وَيَتَبَدَّلُهَا لِلسَّلَاحِ وَلَا يَصُونُهَا، فَإِنْ حَضَرَته الزَّوَارُ وَالْعَفَاةُ فَإِنَّهُ يَبْتَدِئُ بِأَمْوَالِهِ عَلَيْهِمْ، وَيَبْدُلُهَا وَلَا يَضُنُّ بِهَا، فَمَنْ تَأَمَّلَ حَالَتِيهِ عِلْمَ التَّنَاسُبِ بَيْنَ السَّمَاحِ وَالشَّجَاعَةِ. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ١/ ص ٤١٨.

المبحث الثالث

فضل الحاسد على المحسود (بين التصوير والدلالة)

يسلط الحسود كل حواسه حول أولي النعم، فينتقد نعمهم بغل وحقد حتى تُشعل النار في قلبه؛ لأنه غير راض عن حاله، فيترك جميل ما أعطاه الله إياه دون شكر، وينظر لما في يد غيره متمنيا زوال النعمة منه وامتلاكه إياها، ووضح الشاعران هذا المعنى في صورتها ومدى رجوع ذلك بالنفع على المحسود، والذي اعتمد تصوريهما فيه على التشبيه حينما قالوا:

قول^(١) أبي تمام من "الكامل" يمدح أبا عبد الله أحمد بن داود، ويستشفع

بخالد بن وليد:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَنْزَلْ لِلْحَاسِدِ الثُّغْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

مع قول^(٢) البحترى يمدح الفتح بن خاقان وابنه أبا الفتح:

مَكَارِمُ هُنَّ الْغَيْظُ بَاتَ غَلِيلُهُ يُضَرِّمُ فِي صَدْرِ الْحَسُودِ الْمُكَابِدِ
وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدْزِلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ١/ ص ٣٩٧. والموازنة ج ٣/ ص ١١٦. معنى عَرْفٍ: مطلق الرائحة. لسان العرب مادة (ع ر ف).

(٢) ديوان البحترى ج ١/ ص ٦٢٥. والموازنة ج ٣/ ص ١١٧. معنى يُضَرِّمُ: ضَرَمَ يَضْرِمُ ضَرَمًا: يوقد أو يشعل أو يُلْهَب. المكابد: الكبد: الشدة والمشقة، ومكابدة الأمر: معاناته ومشقته ومنه قوله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في كبد". ينظر لسان العرب مادة (ض ر م /ك ب د).

فصورة أبي تمام في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي من أشهر الصور الشعرية وأروعها لديه، ومن أشهر الشواهد البلاغية أيضاً؛ حيث شبه صورة من يريد الله أن ينشر أفضاله ونعمه فيسلط عليه لسان حاسد حاقد، يتحدث عنه وعن مكارمه، فيذيع صيته، بحال العود الذي يسلط عليه النار، فتنتشر رائحته الزكية العطرة، فلولا النار ما ظهرت هذه الرائحة، ولولا الحاسد ما ظهرت تلك الفضيلة المطوية على سبيل التشبيه التمثيلي.

ويقول الإمام عبد القاهر: إذا قطعت البيت الأول عن التمثيل الذي يليه ما وضحت الصورة كما هي عليه من مجئ المعاني في عقبها التمثيل، الذي كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها. والتمثيل عندما يأتي في عقب المعنى يفيد أيضاً بيان الصحة، ونفي الكذب^(١)، فعندما أتى بالتمثيل وهو خروج الرائحة من العود بعد احتراقه، أكد على ما جاء به في البيت الأول، من أن الحاسد سبب في وضوح نعم الممدوح، وبذلك ينفي الريب والشك وتهجم المنكر، وتهكم المعترض.

وهذا هو المعنى الذي قصده البحثري في صورته وهو يمدح الفتح بن خاقان وابنه؛ حيث صور حال المكارم التي يختال بها الممدوح فنسقط الضوء عليه بحال الغيظ الذي يوقد ناره في صدر المحسود، بما في كل منهما من سطوع وظهور، ملحوظ أثره لكل من يراها على سبيل التشبيه التمثيلي. فمكارم الممدوح ظاهرة ساطعة^(٢)، وغيظ الحاسد مشتعل ظاهر في صدره يترجمه بأفعاله

(١) ينظر أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة

دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، س١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص١١٥/١١٨.

(٢) وهي الواضحة من السياق قبله، والذي عبر عنها الشاعر في صورة المدح الذي يشبه

الدم:

ولم أرَ أمثالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتْتْ *** إلى الفضلِ حتى عُدَّ ألفُ بواجدِ
ولا عيبٌ في أخلاقِهِ غَيْرَ أَنَّهُ *** غَرِيبُ الأَسَى فيها قليلُ المُساعدِ

المشينة، والواضح من ذلك أن هذا التمثيل خدم المعنى بعده ألا وهو: أن الدهر لن يظهر نعمة إلا إذا سلط عليها حسود.

ومما قَوَّى التصوير لدى أبي تمام استخدمه لأسلوب الشرط (إذا ولولا)؛ للتشويق؛ لأنك تُطَلِّق الشرط وتبحث عن الجواب الذي يزيدك اطمئناناً، فعندما بدأ حديثه بقوله: (إذا أراد الله نشر فضيلة) أثار ذهنك، ثم أتى بالجواب (أتاح لها لسان حسود)، والذي أوضح أنه لا شيء يحدث إلا بإرادة من الله - عز وجل - فلا خوف من شر الحسد، فرب ضارة نافعة.

و(اللسان) ليس بحاسد إنما النفس هي الحسودة الحاقدة على الآخرين، والأصل في التعبير أن يقول: (لسان الحسود)، لكن الشاعر حذف الألف واللام لِيُخَيِّلَ إليك أنه من باب المجاز المرسل علاقته الجزئية، وإنما خص اللسان؛ لأنه هو الناشر لتلك الفضائل الناقل لها.

ولا تخفى بلاغة الجناس الناقص هنا بين لفظه (يعرف، وعَرَف) من بث جو من التناغم والتجاوب الموسيقي تطرب له الأذن.

ولبلاغة الألفاظ عند أبي تمام جمال زاد من المعنى وميزها عن صورة البحترى؛ حيث عبر بلفظة (طَوِيَتْ) كنوع من الإطناب ألا وهو: التأكيد على أنه تعالى لا يعجزه شيء، فالله - عز وجل - قادر على إحياء فضائلك حتى لو كانت غائبة، وعفى عليها الزمان.

وأفرد معها كلمه (فضيلة) ولم يقل: (فضائل)؛ حتى يقول لك: إنها ولو كانت فضيلة واحدة صغيرة لا تُذَكَّر سيطورها الله كالشمس في وضح النهار. ومن دقه ألفاظه أيضاً إتيانه بكلمة (طيب) قبل كلمة (عَرَف) التي يقصد بها مطلق الرائحة، فأراد أن يحدد تلك الرائحة بأنها طيبة نكية. وانتقائه للفعل (يعرف) الذي يعتمد على الإدراك بإحدى الحواس وهو حاسة الشم يفيد التحقق. بالإضافة إلى لفظ (أتاح) بمعنى هياً لها، بل ويسر لها ذلك الحسود أي لتلك

النعمة؛ ليقلب الشاعر الحكم الإنساني ويثبت أن كل منحه الله لنا خير، فيجب علينا التسليم لقضاء الله وقدره.

فجعل أبو تمام الحاسد سبيلا لنفع المحسود لا لضرره، وإنما الضرر قد لحق به هو أولاً؛ لأنه بسبب سخطه على المحسود قد أهّم نفسه؛ حيث شغلها بالمفقود ولم يرضها بالموجود، فجعل النار بداخلها، وسعى بيده في أذيتها.

ورغم أن الطائي كان خائفاً من عاقبة حاسديه الذي حملهم على السعاية به^(١)، إلا أنه يبرهن لك بهذه الأبيات البليغة أن الأخلاق تظهر وقت البلاء والمحن، لذا يعتذر من ممدوحه، ويبين له حسن خلقه وصبره على إيذاء الناس له، ويجعله بهذه الصورة أن يتفقد أفعاله الطيبة من بين سوء نواياهم.

بينما حذف البحري المسند إليه، والتقدير: (هن مكارم)؛ للتعظيم منها؛ بإلقاء الضوء عليها، وأتى بأسوب القصر، وطريقه تعريف الطرفين عندما قال: (هن الغيظ) من قصر الموصوف على الصفة؛ حيث جعل مكارم الممدوح وحدها سبباً في غيظ الحاسد.

وتجد أن أبا تمام قد أتى بالتمثيل بعد تمام المعنى؛ للإيضاح والتقرير، فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى، أما البحري أتى بالتمثيل في مفتتح الكلام؛ ليكون دليلاً واضحاً وبرهاناً مصاحباً للمعنى المراد الذي أتى به من بعده عندما نفي نفيًا باتاً بـ(لن) إظهار الدهر للنعم إذا لم يستدل عليها بحاسد، ولم يقل: لم (يبين) الدهر، بل قال: (تستبين)، وزيادة المبنى يزيد من المعنى؛ وكأن البحري أراد بأسلوب الخطاب الواضح من الفعل (تستبين) والتقدير: (أنت) لدلالة الشطر الثاني عليه في قوله: (إذا أنت لم تدلل) أن يجعل الممدوح هو الساعي لهذا الحاسد؛ كي يحسدوه، وهذا معنى جيد، ولذلك يقول لك مهما حاولت مع الدهر

(١) ينظر ديوان أي تمام بشرح التبريزي ج ١/ ص ٣٩٧.

كي يبين لك ويظهر أفعالك لم يظهرها، بل ابحث عن حاسد؛ لينهي لك ذلك الأمر، فتكون الزيادة في الفعل؛ لبيان إظهار محاولتك مع الدهر التي باءت بالفشل.

والمعنى المتحد بين الشاعرين هو: التسليم لقضاء الله، فرب الخير لا يأت إلا بالخير، فلا يضرك حاسد، ولا يقلقك حاقد، دع الخلق للخالق، فرب ضارة نافعة. وهذا المعنى هو المتضح في قول أبي تمام:
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَسَانُ لِسَانِ حَسُودٍ
ويقابله قول البحري:

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ

والمعنى لديهما عقلي محض، وهو نشر ما طوي من فضائل الناس، وما خفي من مواضع النعم على ألسنة الحاسدين، فاحتاج الشاعران للتمثيل الذي قوّى المعنى، ومدّ ميدانه بالمثل المشاهد، بعدما كان حبيس العقول. وتميز المعنى عند أبي تمام بقوله: (طُوِيَتْ)؛ لأنه أشار إلى نفس متواضعة غير محبة للظهور، كما أنها جعلت الفضيلة شيئاً يطوى وينشر على سبيل التخييل^(١)، مما قوى المدح لديه.

ورغم أن تشبيهه البحري يحتوي على ألفاظ توضح قوة ذلك الحقد والغیظ داخل صدر الحاسد كالفعل: (بات) الذي دلّ على أنه يظل طوال ليليه بلا نوم؛

(١) ملخص لكلام أستاذنا الدكتور سلامة داود من الكتاب الجامعي: علم البيان مقرر الفرقة الثالثة، لكليات اللغة العربية والشعب المناظرة: إعداد أ.د/ سلامة داود، أ.د علي عبد الموجود، أ.د/صلاح حبيب، وراجعته: أ.د عبد المجيد هندراوي، أ.د أماني هاشم، أ.د/ علي محمد حميد. ص٢٦/٢٧.

يفكر في تلك المكارم المنغصة عليه حياته، والفعل (يُضَرِّم) الذي يبين اشتعال صدره دلالة على شدة غيظه، فهو حاسد مكابد، إلا أن تشبيهه أبي تمام أبلغ من تشبيهه لأسباب عدة:

أولاً: إن أبا تمام ترك نشر الفضيلة لله -تعالى- دون سعي وراء نشرها كما فعل البحثري عندما قال: (إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد) وذلك ادعى لبث السكينة داخل النفس.

ثانياً: استخدم المصدر (نَشْر) والذي أفاد المبالغة في وصف الحدث، وعدم خصوصيته بزمان معين، فإن الله -سبحانه وتعالى- قادر على هذا النشر فكل زمان ومكان.

كما أن الشين في لفظة (النشر) والذي يدل على التفشي ساعد على اتساع ذياح تلك الفضيلة، أما التدايل عليها كما فعل البحثري يحتاج إلى سعي وجهد؛ لإثبات تلك الفضائل والدلائل والبراهين.

كما أن حرف العين الذي استخدمه أبو تمام في قوله: (ما كان يعرف طيب عرف العود) والذي من صفاته الجهر زاد من إظهار شدة هذه الفضائل.

ثالثاً: ختم أبو تمام صورته بقوله: (لولا التخوُّف للعواقب لم تنزل للحاسد النعمى على المحسود) والذي به أعاد الأشياء إلى قواعدها؛ فعندما جعل الحاسد سبباً في نشر الفضيلة بتسليط نفسه الخبيثة على المحسود حتى ذاع صيته كذياح الرائحة الطيبة التي فاحت من العود لولا اشتعال النار فيها، أراد أن يذكرنا من باب (الذكرى تنفع المؤمنين)، فالجميع يخشى الحسد والحاسدين والعواقب الوخيمة التي تأتي من ورائهم بقوله: (لولا التخوُّف للعواقب)، فلولا هذا الخوف لكان الحاسد سبباً للقال وهذا محال.

ولم يقل: (لولا الخوف من العواقب) بل عبر بصيغة (تَفَعَّل) فقال:
(التَّخُوف) مصدر تَخَوَّفَ مطاوع خَوْفٍ؛ لأن الخوف ظاهرة طبيعية تحدث عند
توقع النفس لمكروه سيحدث، أما التَّخَوُّفُ "كَنَبَّهَتْهُ فَتَنَّبَهُ وَكَسَّرَتْهُ فَتَكَسَّرَ" (١)
أي: عندما خُوِّفَتْ النفس من الحاسدين تَخَوَّفَتْ منهم، وانتظرتُ بلاءهم، فاعتراك
قلقا دائما إثر ذلك التَّخَوُّفُ الذي سيطر عليك، وذلك أبلغ في أداء المعنى، ومن
أجل هذا وغيره عد كثير من النقاد هذا المعنى من المعاني التي لم يُسبق إليها.

(١) شذا العرف في فن الصرف، تأليف: الشيخ أحمد الحملوي، مؤسسة الرسالة ناشرون،
الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ٤٦.

المبحث الرابع

عاقبة القلوب السوداء (بين التصوير والدلالة)

صور أبو تمام عاقبة قلوب الحاسدين بالأشياء المحسوسة؛ حيث شبه الحسد بالمرض الذي يتوغل بالبدن، بينما اعتنى البحتري بالأمر المعنوية أكثر من المادية في بيان عاقبة الحاسدين، فشبه حسدهم مرة بالمرض، ومرة باليأس، ومرة بالتعب وعدم الراحة الناجم عن إخفاق الممدوح لسعيهم، ومرة بالهبل والقتل.

أولاً: تشبيه الحسد بالمرض الذي يصيب البدن:

قول^(١) أبي تمام يمدح خالد بن يزيد، ويهجو رجلاً فآخَرَهُ لَمَّا عَزَلَ عَنِ

الثغور، من "البسيط":

مُخَامِرِي حَسَدٍ مَاضِرٍ غَيْرُهُمْ كَأَنَّمَا هُوَ فِي أَبْدَانِهِمْ مَرَضٌ
مع قول^(٢) البحتري يمدح أبا جعفر (محمد بن علي بن عيسى) القُمِّي:

يَسَّ الحَاسِدُونَ مِنكَ ، وَكَانُوا أَسْفَاً يَنْظُرُونَ نَحْوَكِ حَوْلَا
وَرَأَوْا أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا تَلَّكَ لَكَ الْمَسَاعِي بِالْفِكْرِ ذَابُوا نُحُولَا
فَتَنَوَّا عَنكَ أَعْيُنَا وَقُلُوبَا لَمْ يَرُدُّوا إِلَّا حَسِيرَا كَلِيلَا
وَكَفَانِي عَلَى الذِي يُوجَدُ الْفَضُّ لُ لَدِيهِ بِالْحَاسِدِينَ دَلِيلَا

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ٢/ ص ٢٨٤. والموازنة ج ٣/ ص ١١٥. معنى مخامر: من خمر، وخمر الشيء أي: قاربه وخالطه، ورجل خمر أي: مخامر، وهو المخالط من خامر الدواء إذا خالطه. لسان العرب مادة (خ م ر).

(٢) ديوان البحتري ج ٣/ ص ١٧٧. والموازنة ج ٣/ ص ١٢٠. معنى حولاً: أي: بأعين حولاء، وكليل: ضعيف متلهف. لسان العرب مادة (ح و ل، ك ل ل).

وقوله^(١) يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

يَحْسَنَ الحَاسِدُونَ مِثْلَكَ ، وَمَا مَجَّحٌ
دُكَّ مِمَّا يَرْجُوهُ ظَنُّ الحَسُودِ
وقوله^(٢) يمدح يوسف بن محمد:

وَمَلَأَتْ أَحْشَاءَ الحَسُودِ بِلَابِلًا
فَارْتَدَّ يَحْسُدُ فَيْكُ مِنْ لَمْ يَحْسُدُ

اعتمدت صورة أبي تمام على التصوير بالتشبيه؛ فشبه حال الحسد وهو متملك من قلوبهم يهلكها ويحرقها بحال المرض الذي يتشعب ويتغلغل من الأبدان يأكل ويضر الأنفس، فأظهر المعنى المعنوي بصورة محسوسة جلية عن طريق التمثيل. ويمكن حمله على أنه تشبيه مفرد معنوي بمفرد معنوي، أي شبه الحسد بالمرض، وحذف وجه الشبه؛ لتذهب النفس فيه كل مذهب. ولكني أميل للوجه الأول بأنه تشبيه تمثيلي، والذي أوحى إليّ بذلك كلمة "مخامري" التي تدل على الاختلاط، فكان المعنى عندما خالط الحسد أجسامهم شعروا بالتعب والمرض، مع أنهم لا يعانون من مرض عضوي بل مرض قلبي. وتضافر علم المعاني مع علم البيان بما يناسب سياق ذم الحاسد؛ فحذف المسند إليه في قوله: (مخامري حسد)، والتقدير: هم مخامري حسد، وكأنهم لا يحتاجون إلى إشارة، فهم معلومون لدى الجميع بتلك الصفة، بينما أثبتته بعود الضمير الغائب عليه بالشرط الثاني في قوله: (كأنما هو في أبدانهم)؛ ليعرض ويتهم بهم، فهو يؤكد على تقريره لهم ببيان عظم هذا الداء.

(١) ديوان البحري ج ١/ص ٦٣٨. والموازنة ج ٣/ص ١١٧.

(٢) ديوان البحري ج ١/ص ٥٤٩. والموازنة ج ٣/ص ١١٨. معنى البلايل: هو الوسواس والهلم. لسان العرب مادة (ب ل ب ل).

وقدّم الجار والمجرور (في أبدانهم) على الخبر (مرض)؛ للتخصيص؛ لأن ما يتبادر في ذهن السامع عند ذكر الحسد هو إصابة المحسود بالضرر، لكن الشاعر أراد أن يؤكد على توغل المرض في أبدانهم وليس بدن من يحسدوهم، وهذا ما أفاده قوله: (ما ضرَّ غيرهم)، فكأن الشاعر أراد أن يُعظّم قول الله سبحانه -تعالى- في كتابه الكريم: "وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ" (١).

وأتى البحثري بالمعنى نفسه وهو يمدح أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القمي:

يَسَّ الحاسدونَ مِنْكَ ، وكأثوا أسفاً ينظرونَ نَحوكَ حُولا
ورأوا أنَّهم إذا وصلوا تلكَ لك المساعي بالفكرِ ذابوا نُحولا
فثنوا عنكَ أعيناً وقلوباً لم يردُّوا إلاَّ حسيراً كليلاً
وكفاني على الذي يوجدُ الفضدَ لُ لديه بالحاسدينَ دليلاً

وقوله يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

يَسَّ الحاسدونَ مِنْكَ ، وما مجدُ ذكَّ مما يرجوه ظنُّ الحسودِ
وقوله يمدح يوسف بن محمد:

وملأت أحشاءَ الحسودِ بلايلاً فارتدَّ يحسدُ فيك من لم يحسدُ

اعتمد البحثري في تصويره على دقة الوصف، فوصف في مقطوعته الأولى حال الحاسدين وإصابتهم باليأس من الممدوح، حتى أتعبوا أنفسهم،

(١) سورة الأنفال / آية ٣٠.

وأجهدوها، دون الوصول إلى أدنى ما هو فيه من العلو، ثم افتخر في آخر بيت بمدوحه ويقول: كفاني دليلا على فضله وعلو منزلته وجود الحاسدين.
استخدم البحري الفعل الماضي في أغلب أفعال تلك المقطوعة، واستهلها بالفعل "يئس"؛ ليؤكد على إحباطهم من وصول المدوح إلى القمة.
وعطف الجملة الحالية "وكانوا أسفا" - أي كان حالهم حزينا مؤسفاً - على ما قبلها من قبيل التوسط بين الكمالين؛ ليبين شدة حزنهم، وقيل^(١): شدة غضبهم وندمهم؛ حيث إن الأسف هو ثوران دم القلب شهوة الانتقام، وغالبا ما يكون الأسف على ما فات، كقوله تعالى: "وَقَالَ يَا سَفَى عَلَىٰ يُونُسَ" ^(٢)، فهم شداد الحزن من تقدّم المدوح، وشداد الغضب والنوم على ما فرطوا به في حق أنفسهم وتخاذلهم في طلب العلياء.

ثم قال: "ينظرون نَحْوَكْ حُولًا" بالفصل عما قبلها؛ لكمال الاتصال، وما بينهما من التلاحم والاتحاد في المعنى، فهي مؤكدة لها تأكيداً معنوياً؛ حيث إن الحزن يعقبه حول في العين، وضعف من كثرة إجهادها، مثل ما حدث لسيدنا يعقوب عليه السلام. وتقديم كلمة "نحوك" على المفعول به أفادت تخصيص المدوح وانشغالهم بمتابعته هو لا غيره.

وبالبيت الثاني يقول: إنهم كلما رأوه وتفقدوا مجده ومكارمه يشعرون بصعوبة الوصول إلى هذا المنال، بل إن من المشقة أن يصلوا إليه بفكرهم فقط دون الشروع فيه، لذا عبّر بأسلوب الشرط؛ ليهيئ جوا من الإثارة والتشويق؛ فأطلق فعل الشرط في قوله: (إذا وصلوا تلك المساعي بالفكر) وتركك تتخيل الجواب، فإذا هو خيبة أخرى حين قال: (ذابو نحولا) كناية عن ضعف أجسادهم

(١) لسان العرب مادة (أ س ف).

(٢) سورة يوسف آية ٨٤.

وهزولهم، فهم مجتهدون لا ينامون مستمرّون في التفكير، حتى أخذ هذا من صحتهم ولياقتهم فأصبحوا نحولا. فكان أسلوب الشرط كالصورة المرسومة بذهن سامعه تثبت عند تصورهما عجزهم عن الوصول.

واتضح الاستعارة التبعية في قوله: (ذابوا) الذي استعير للضعف والهزل، فأصبحوا قابلين للذوبان، كالتلج الذي يذوب بسرعة فائقة.

وقوله: (بالفكر) إطناب أفاد التعريض بهم؛ فهم لم يحاولوا الوصول بالاجتهاد وبجميل الأفعال بل كانت الصعوبة عليهم بمجرد طرح الفكرة في أذهانهم، وفيه أيضا مدح خفي للممدوح.

وإذا نظرت لبداية البيت لوجدت التعريض ماثلا أمامك أيضا في قوله: (رأوا)؛ حيث إن لفظ الرؤية يستحضر المشهد في الأعين، فكيف استحضروا المشهد ولم يعوا ويتفهموا سوء حالهم، مما يدل على ضعف عقولهم.

وعندما وصلوا إلى هذا القدر من النحول والهزال اضطروا إلى الانسحاب السريع فقال: (فَنَنْتَوُا عَنْكَ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا) كناية عن الانصراف التام عن الممدوح، ومنه إلى شدة بأسهم، فلا نتيجة من ذلك الحسد سوى نتيجة واحدة، وهي: (لم يَزِدُوا إِلَّا حَسِيرًا كَلِيلًا) أسلوب قصر من قصر الموصوف على الصفة؛ حيث قصروا أنفسهم على التعب والضعف والحسرة عند مجاورة الممدوح. ولذلك لم يكتب الشاعر بغض الأعين فقط بل عطف القلوب عليها؛ لأن القلب هو الأصل في الشعور بالانصراف لا الأعين؛ إذ هو مصدر الشعور الذي يحرك العقل، فعندما ينصرف يغلق وراءه جميع الأبواب.

ويختم البحترى فيقول: إن التقاف الحاسدين حول الممدوح هو الدليل الوحيد على نعمه وكرمه وعلوه، فلا يتهافت النحل إلا على الأزهار؛ لينهل من رحيقها، ولا تلتفت النجوم إلا حوّل القمر؛ لينعموا بضوئه، وكأن الممدوح والمكرّمات والحاسدين عقدّ من ثلاثة لآلئ، لا يحسن منظره إلا بهم جميعا.

والتعبير بلفظة (كفاني) تعبيرا جيدا؛ حيث أظهر اكتفاء الشاعر بممدوحه على أية حال، وبالبيت تقديم وتأخير، والتقدير: (وكفاني دليلا بالحاسدين)، فتراه قَدَّم الجار والمجرور على المفعول؛ للتخصيص وإظهار مدى ارتباط الحاسد بذوي النعم. وقوله: (على الذي يوجد الفضل لديه) اعتراض يعود على الممدوح، وكناية عن كثرة فضله.

ورغم ظهور الكناية والاستعارة في هذه المقطوعة إلا أن التصوير قد اعتمد على الوصف، وليس الكناية أو الاستعارة بمفردها، بل كل ما اقترن بهما وقواهما من تراكيب؛ حيث أظهر هذه الصورة متكاملة، موضحة حال الحاسدين أكمل توضيح.

وعبَّرَ البحتري عن المعنى نفسه في قوله يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:
يُؤَسَّ الحاسدونَ مِنْكَ ، وما مَجْدُكَ مِمَّا يَرْجُوهُ ظَنُّ الحَسُودِ
يقول البحتري: إن الممدوح لا ينتهي من مجد إلا أتى بأخر، فهو كل يوم في مجد جديد، وهذا ما أفاده البيت الذي يسبقه ويقول فيه:

قد تَلَقَّيْتِ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدِ يا «أَبَا جَعْفَرٍ» بِمَجْدِ جَدِيدِ
وكان ذلك سبباً في يأس الحاسدين منه؛ حيث إن مجده لا يرجوه حاسد، فهو بعيد عن ظنه وامتناه.

اعتمد التصوير هنا على الوصف الموجز؛ حيث بدأ البحتري صورته بلفظة "يؤس" التي تفيد الانهيار وانعدام الحالة النفسية للحاسدين، والذي يعقبه تدهورا في الحالة الجسدية يحول بينهم وبين الممدوح، لذا عبر بالفعل الماضي؛ لتحقيق ذلك اليأس الذي شملهم عندما عبَّرَ بالجمع في لفظ (الحاسدون).
ثم استخدم أسلوب النفي (وما مجدك مما يرجوه ظن الحسود)؛ ليصل إلى معنى لم يتوقعه السامع ألا وهو: نفي رجاء الحاسد لمجد الممدوح، فهذا المعنى

يوهم السامع أن الحاسد لا يبالي بمجده، ولكن المعنى المراد غير ذلك وهو: أن مجد الممدوح يبلغ من العلو ما لا يصل إلي قدرة الحاسد من التحقق، فانعدم الرجاء، فعلى سبيل المثال: يوجد رجل يتمنى الفردوس، وآخر لا يتمنى إلا الجنة ولا يطلب سواها، ولا يرجو أعلى منها؛ لضعف إيمانه وضيق أفقه، فلو أنه اجتهد وطلب الفردوس لكان خيرا له وأقوم.

وانظر إلى تصويره وهو يمدح يوسف بن محمد فيقول:

وَمَلَأَتْ أَحْشَاءَ الْحَسُودِ بِلَابِلًا فَارْتَدَّ يَحْسُدُ فَيْكَ مَنْ لَمْ يَحْسُدْ
أي^(١): إنك ملأت أحشاء العدو بالوسواس والهَمّ المستمر، فأصبحت مصابين بالمرض، عاجزين عن حَسَدِكَ، فَحَسَدَكَ غيرهم مما لم يحسد فيك من قبل. وكأن الممدوح يکید الحاسدين ويهلكهم، ويستبدل قوما غيرهم؛ ليحسدوه. واعتمد تصويره هنا على المجاز؛ حيث شبه البلايل وهو الهم والحزن بالطعام الذي يؤكل، وحذف المشبه به وهو الطعام، وأتى بشيء من لوازمه وهو شعور البطن بالامتلاء في لفظة (ملأت)، على سبيل الاستعارة المكنية. والسر البلاغي من الاستعارة هو إظهار القلق الذي يعانیه الحاسد من ذلك الحسد، فهم يأكلون الذل في حضرة الممدوح دون التكلم أو الاعتراض، فهو يلجم ألسنتهم فيحسده غيرهم.

وتعانق مع المجاز اللغوي المجاز العقلي في قوله: "ملأت أحشاء الحسود بلابلا" مجاز عقلي علاقته السببية؛ حيث إن الممدوح لا يستطيع أن يحزنهم

(١) السياق من قبله يدل على وصول الممدوح إلى أقصى مكانة، لا يوجد بعدها شيء، فيقول:

فَلَقَدْ بَنَيْتَ الْمَجْدَ حَتَّى لَوْ بَنَيْتَ كَفَأَكَ مَجْدًا ثَانِيًا لَمْ تُحْمَدِ
وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قَاصِرًا عُمَرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمَرَ الْمَوْعِدِ

ويمرضهم ويملاً أحشاءهم بالهم، وإنما هو الله جل جلاله القادر على ذلك، وهو سبب في هذا الوسواس. ويتجلى الجنس بالسلب بين (يحسد، لم يحسد) فيشعرك بالعموم، ليشمل الناس كافة.

وعندما بحثت في معجم لسان العرب عن أصل كلمة "ارتدَّ" وجدتُها تفيد رجوع الشيء إلى أصله بعد غيابه، وتذكرت قول المولى -عز وجل- في قصة سيدنا يوسف عندما أعطى أخوته قميصه؛ ليقوه على وجه أبيهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾ (١).

ومعنى الآية أن سيدنا يعقوب كان بصيراً منذ ولادته إلى أن فقد بصره من شدة بثه وحزنه على يوسف، وبعد إلقاء القميص رجع إليه البصر مرة أخرى. ومن ذلك أظن أن المعنى يتحول إلى:

إن الحساد الذين حسدوك مؤخرًا ليسوا ممن لم يحسدوا من قبل، بل كانوا حاسدين في الزمن الماضي ثم تاب الله عليهم، ثم ارتدوا إلى الحسد مرة أخرى؛ انتقامًا لإخوانهم الحساد الذين مرضوا بسبب حب الناس لك ولأمجادك، فأزعجتهم وجعلتهم يرتدوا على أعقابهم فينقلبوا خاسرين.

أو يكون المعنى: إن الحاسدين الذين أنعمت عليهم سابقًا، وغفلوا عن حسدك بسبب إكرامك لهم، ارتدوا يحسدون فيك مرة أخرى بسبب إنعامك على غيرهم، فكان غيرتهم من بعضهم البعض هي سبب هلاكهم.

والنغم الصوتي في لفظة بلا بلا بتكرار الباء واللام يبين اضطراب الحاسد وفساد حاله وسوء مآله.

(١) سورة يوسف / آية ٩٦.

وبالنظر إلى ما جاء في المطلب الأول من هذا المبحث، تجد أن المعنى المتحد بين الشاعرين هو: إصابة أجساد الحاسدين بالمرض، والجملة المحورية في صورة أبي تمام هي: (كأنما هو في أبدانهم مرض) اعتمدت على التشبيه، بينما صور البحتري المعنى نفسه بجملة محورية مختلفة عندما قال: (ينظرون نحوك حولا) و(ذابو نحولا)، وقوله: (يئس الحاسدون منك)، وقوله: (وملأت أحشاء الحسود بلبلا). فترى البحتري قد لجأ في تصويره إلى الوصف حينما قال: (يئس الحاسدون منك وكانوا أسفا...) فهي صورة متكاملة؛ أوضحت يأس الحاسدين، وشروذ ذهنهم، وضعف عقولهم، وسوء تفكيرهم الذي لا داعي له، مستخدما في ذلك الجمل الخبرية، ما بين اسمية وفعلية؛ ليؤكد على حالهم. ولجأ أيضا إلى التصوير بالاستعارة في قوله:

وَمَلَأَتْ أَحْشَاءَ الْحَسُودِ بِلَبْلَاءٍ فَارْتَدَّ يَحْسُدُ فِيكَ مَنْ لَمْ يَحْسُدْ

والذي قواه باستخدامه للفعل ارتد، وما دل عليه معناه اللغوي من ثراء للمعنى، وتعبيره بالجناس بين (يحسد ولم يحسد) مما أفاد الشمول^(١).

(١) ولأبي تمام نظير لهذا المعنى بديوانه بشرح التبريزي ج ٢/ص ١٤٠. قال فيه:

يَتَنَفَّسُونَ فَتَنَّتْنِي لَهَوَاتُهُمْ *** مِنْ جَمْرَةِ الْحَسَدِ الَّتِي لَمْ تَبْرُدْ

فتراه شبه الحسد بالجمرة، من إضافة المشبه للمشبه به مثل: لجين الماء، ثم جعل التشبيه مشروطا بقوله: (التي لم تبرد) إيغال، حوّل التشبيه من القريب إلى الغريب كقوله: (سنا لهب لم يتصل بدخان)؛ حيث أظهر نواياهم الخبيثة وشروهم الدائم، فالجمرة تأخذ وقتها ثم تتطفئ، ولكن جمرة حسدهم لا تبرد أبدا، فكما تقل جدتها يزيدا التنفس اشتعالاً؛ بسبب حسرتهم وغيظهم من نجاح الممدوح. فاعتمد في صورته على التشبيه، وصوّر الشيء المعنوي بالشيء المحسوس المرئي؛ ليقرب الصورة في ذهن السامع، فينفر من الحسد، ويبتعد عن تلك الصفة الذميمة. وتميزت -عندي- هذه صورة على صورة البحتري؛ حيث وصف التشبيه وما حوله من نظم دقيق حالتهم النفسية أبلغ تصوير؛ فجعل أبو تمام الحياة بأكملها في كفة، وتلك الصفة في كفة أخرى تقابلها، فإما الاتعاض وإما الموت، بينما صورة البحتري جعلت الحسد كالداء في أحشاء الحسود يمكنه تداركه بالوقت أو العلاج، ولعل البحتري أراد ذلك؛ ليعطي للحسود فرصة؛ للنجاة بنفسه.

ثانيا: التعب والإجهاد وشغل البال في إخفاق الممدوح لسعي الحاسدين:
عبر البحثري عن هذا المعنى بثلاثة صور، اعتمد تصويره فيها على الوصف،
وهي:

قوله^(١) يمدح صاعد بن مخلد:

وَيُرْدُ غَرْبَ مُسَاجِلِكَ إِذَا غَلَّوْا سَعَى أَطَلَّتْ بِهِ عَنَاءَ الْحَاسِدِ
جَهْدُوا عَلَى أَنْ يَلْحَقُوكَ وَأَفْحَشُ الـ حِرْمَانٍ يُقَدَّرُ لِلْحَرِيصِ الْجَاهِدِ

وقوله^(٢) يمدح المتوكل:

فَنَيْتُ أَحَادِيثَ النَّفُوسِ بِدِكْرِهَا وَأَفَاقَ كُلِّ مُنَافِسٍ وَحَسُودِ
وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى تَعَبًا كَطَنِّ الْحَائِبِ الْمَكْثُودِ

وقوله^(٣) أيضا يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

شَغَلَ الْحَاسِدِينَ أَنْ لَمْ يَبْيُتُوا قَطُّ مِنْ هَمِّهِ وَلَا أَشْغَالِهِ
فَاضِحًا سَعْيُهُمْ إِذَا مَا تَعَاطَوْا سَعْيُهُ فُحْشُ نَقْصِهِمْ عَنْ كَمَالِهِ

(١) ديوان البحثري ج ١/ص ٥٥٢. والموازنة ج ٣/ص ١١٧. معنى الغَرْب: حد كل شيء،
والغَرْب: كثير العدو، والحدة، والنشاط والتمادي. ومساجيلك: من تساجل القوم: تباروا
وتفاخروا وتنافسوا. لسان العرب مادة (غ ر ب/س ج ل).

(٢) ديوان البحثري ج ٢/ص ٧٠١. والموازنة ج ٣/ص ١١٨. فنى الشيء فناء: باد وانتهى،
وفنى فلان: هرم وأشرف على الموت، وفنى في الشيء: اندمج فيه وبذل غاية جهده.
لسان العرب مادة (ف ن ي). معنى المكثود: رجل مكثود مغلوب. لسان العرب مادة (ك
د د).

(٣) ديوان البحثري ج ٣/ص ١٨٤٤. والموازنة ج ٣/ص ١١٩.

يقول الشاعر في الصورة الأولى: إن سعيك أيها الممدوح صدَّ عنك حقد المنافسين، وسعيهم الطويل وراء منافستك؛ حيث إنهم لا يستطيعون مباراتك، وأتعبت الحاسد بحثاً وراء اجتهادك، وما أفحش الإنسان المحروم حينما يجتهد؛ ليصل إلى ما في يد غيره دون النظر إلى العواقب.

بدأ البحترتي صورته بالفعل المضارع "يُردُّ" الذي يفيد التجدد في رد الممدوح على منافسيه، وإخماد محاولاتهم في الوصول إليه، فكلما يجاوز المنافسون الحد معه يوقفهم بسعيه. والتشديد في الفعل أظهر هذا التجدد المفاد من زمن الفعل؛ فرده غير مستمر، بل يرد مرة بعد مرة؛ لعدم انشغاله بهم، ويفيد أيضاً قوة الرد وحسن التصدي لهم.

وأخَّر المسند إليه (سعي)؛ للتشويق وإثارة ذهن السامع، كما أنه عبر فيه بصيغة المصدر؛ لأن المصدر يجعل الشاعر ينطلق في عالم غير محدود بزمان.

وقوله: (إذا غلوا) احتراس أظهر عدم مبالاة الممدوح بهم في الأصل، وإنما سعيه واضح لهم في حال الغلو، أي: في حال التعرض له بالأذى للتغلب عليه. وجملة "أطلت به عناء الحاسد" جملة حالية من السعي، مجاز عقلية علاقته السببية؛ حيث إنه لا يستطيع ذلك؛ فالعناء وإطالته من الله جل جلاله، هو الذي يجازيه على نيته السيئة، والسعي سبب له.

وقوله: (جهدوا على أن يلحقوك) جملة خبرية تؤكد حالتهم، وكان له أن يأتي بها بدون حرف الجر (على)، فيقول: جهدوا أن يلحقوك؛ لكن الحرف (على) يفيد الاستعلاء الذي بين عظيم جهدهم، ومشقتهم في اللحق به.

وجملة (أفحش الحرمان يُقدَّر للحريص الجَاهِد) تذييل جار مجرى المثل، صور المعنى أبلغ تصوير؛ فأتى المسند إليه على صيغة (أفعل)؛ للمبالغة في الفحش الذي ينتج عن الحرمان، ثم أتى المسند جملة فعلية (يُقدَّر للحريص الجَاهِد) أفادت الاستمرار؛ فالنفس المحرومة تكون حقودة ذات نفسية مريضة،

تنتظر للآخرين دائما بعين ساخطة، فتحاول إسقاطك وانهيارك؛ كي لا تقوم لك قائمة، ولكن الله يخيب ظنها، ويوقعها في الهاوية.

وانظر إلى صورته الثانية وهو يمدح المتوكل:

فَنَيْتُ أَحَادِيثَ النُّفُوسِ بِذِكْرِهَا وَأَفَاقَ كُلِّ مُنَافِسٍ وَحَسُودٍ
وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى تَعْباً كَظَنِّ الْحَائِبِ الْمَكْتُودِ

يقول: أسكتت أحاديث النفوس بعد ذكر المتوكل بيعته لبنيه الثلاثة (ولاية

العهد والعمل)، والذي قال فيهم:

حَاطَ الرِّعِيَّةَ حِينَ نَاطَ. أُمُورَهَا بِثَلَاثَةِ بَكَرُوا وَوَلَاةَ عُهُودِ

ثم قال:

كَانُوا أَحَقَّ بِعَقْدِ بَيْنَعَتِهَا ضُحَى وَيَنْظُمُ لَوْلُو تَاجِهَا الْمَعْقُودِ

ثم جاءت هذه الأبيات التي افتتحها بالفعل "فَنَيْتُ" الذي يفيد الانتهاء

والزوال الدائم بلا رجعة، فلا يُسْمَعُ صوتا لمتكلم في حق هذه البيعة.

وجملة "فَنَيْتُ أَحَادِيثَ النُّفُوسِ" مجاز عقلي علاقته السببية؛ حيث إن الله -

تعالى - هو الذي يُفْنِي ويُسَكِتُ ويوقف الكلام في الحناجر، فالفناء بسبب بيعة

الممدوح وليس بيده.

وقوله: (أَحَادِيثَ النُّفُوسِ) من قبيل الاستعارة المكنية؛ حيث جعل للنفوس

أحاديث على سبيل الاستعارة التخيلية؛ لأن النفس لها خواطر تحدث بداخلها،

ولكن لا تدرك عن طريق الحس، فهي شيء معنوي، أما الحديث شيء حسي

يدرك عن طريق السماع.

ثم عبر في الشطر الثاني بمعنى مختلف، وهو إفاقة المنافق والحاسد،

وكأنهما مغشي عليهما، فعندما سمعوا بأمر البيعة أفاقوا وانتبهوا فزعا من تلك

البيعة ومفاجأتهم بها، استعارة تبعية في الفعل (أفاق)؛ حيث استعارة للفعل تنبّه.

ثم قال: (والياس إحدى الراحتين) جملة خبرية أفادت التعريض والتهمك، فأثبت لهم اليأس وهو الحل الأفضل لهم؛ لأن الراحة الثانية هي الخلود إلى الموت؛ للتخلص من ذلك الممدوح، وسيرة أبنائه التي تميتهم غيظا. واختتم الصورة بالتذييل كما فعل بالصورة السابقة، ولكنه غير جار مجرى المثل فقال: (ولن ترى تعباً كظن الخائب المكدود) على صورة جملة منفية وكأنها من القصر المعنوي المفهوم من السياق؛ حيث قصر التعب على الخائب المعدب، أي هو ينفى شعور أي شخص بالتعب مثلما يشعر الخائب الذي أرهق نفسه بلا فائدة.

وتحدث عن إخفاقه لسعيهم في صورة أخرى، وهو يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

شَغَلَ الحَاسِدِينَ أَنْ لَمْ يَبِيَّتُوا قَطُّ مِنْ هَمِّهِ وَلَا أُشْغَالِهِ
فَاضِحاً سَعْيَهُمْ إِذَا مَا تَعَاظُوا سَعْيَهُ فُحْشُ نَقْصِهِمْ عَنْ كَمَالِهِ

يقول البحري: شغل الممدوح الحاسدين بكثرة همومه وأشغاله التي يفعلها لمساعدة الناس والاهتمام بهم، فهم لم يغمض لهم جفن، يترقبونه ويترصدهم بأعينهم الحاقدة، ولكن الله جعله يفضح أمرهم فيعرف نيتهم الخبيثة، ويظهر فحش أعمالهم التي تعلي من شأنه، وتجعله يتصف بالكمال.

بدأ البحري بالأسلوب الخبري (شغل الحاسدين) الذي أظهر مدى قلقهم بتوجيه اهتمامهم نحو الممدوح، ثم فصل لشبه كمال الاتصال، أي: كيف شغلهم أو لأي مدى؟ فجاء بالنفي رداً عليه فقال: " أن لم يبيتوا قط؛ ليوكد هذا الانشغال، فهم يرفضون نعمة النوم التي وهبها الله سبحانه وتعالى - لعباده كي يستريحوا، واختاروا لأنفسهم السهر والتعب الذي لا ينقطع، وناسب ذلك كلمة "قط" التي تقطع الشك باليقين.

وكان للبحثري أن يقول: لم يبيتوا، لكنه استزاد (أن) الساكنة؛ ليدل على سكونهم وثبات حالهم بهذا الحال طيلة الوقت.

ثم قال (من همه ولا أشغاله)؛ ليوضح سبب شغل بالهم، وهو شيئان: الأول ترقبهم لما يهّمه، والثاني متابعتهم لأشغاله، فزاد الحرف (لا) من هذا الشعور؛ بما فيه من حرف المد وامتداد الصوت فيه.

ثم فصل مرة أخرى لشبه كمال الاتصال أيضا وكأنه يسأل: ماذا كان ردة فعل الممدوح؟ فكانت الإجابة: فاضحا سعيهم، فقد بين الله سبحانه تعالى - سعي حاسديه، وكشف لؤمهم عن طريق التعبير بالمجاز العقلي علاقته السببية في قوله "فاضحا سعيهم" فالممدوح سبب في هذا السعي. وأتى باسم الفاعل؛ ليبالغ في قدرته على فعل ذلك.

وقوله: (إذا تعاطوا سعيه) اعتراض، حمل المعنى نفسه في الصورة الأولى حينما قال: (إذا غلوا)، فهو لا يبذل أي مجهود للإثبات لهم إلا إذا اضطره لذلك.

واستعار الفعل (تعاطوا) للفعل تناول أو خاض؛ فمعنى التعاطي التناول مرة بعد مرة^(١)، فكان الفعل بمثابة الخوض المتكرر؛ للدلالة على إصرارهم وشدة المتابعة له.

ثم جاء بالتذييل غير الجاري مجرى المثل في قوله: (فُحْشُ نَقْصِهِمْ عَن كَمَالِهِ)، ولم يقل (فُحْشٌ) بالفعل الماضي، بل عبر بالمصدر؛ للمبالغة في الفحش.

ويظهر الجنس الاشتقائي جليا بين شغل وأشغاله، وسعيهم وسعيه، والطباق بين النقص والكمال مما زاد من التعريض بهم.

(١) لسان العرب مادة (ع ط و).

والمعنى المتحد لدى البحري هو: إخفاق الممدوح لسعي الحاسدين، وقد ظهر هذا المعنى الأم في صوره الثلاث على الترتيب حينما قال: (ويرد غرب مساجيلك إذا غلوا سعيي)، وقوله: (فنيئت أحاديث النفوس بذكرها)، وقوله: (فاضحا سعيهم إذا تعاطوا سعيه).

وتميز البحري في هذا الجزء -الثاني- من المبحث بإعطاء النصائح القيمة عبر التذييلات المختلفة، التي تثبت في الذهن ولا تُنسى، مثل: (وأفحش الحرمان يُفدّر للحريص الجاهد)، وقوله: (ولن ترى تعبا كظن الخائب المكدود)، كما أنه أثبت أن الإنسان الناجح لا يؤدي أبدا، بل هو منشغل بأعماله، لا ينظر لأعدائه، تاركاً لأفعاله الرد عليهم في حال غلوهم، وذلك باستخدام الجمل الاعتراضية، التي غالبا ما تأتي على هيئة أسلوب شرط، مثل: (ويرد غرب مساجيلك -إذا غلوا- سعي)؛ ليعطى نوعا من الإثارة وجذب الانتباه.

وتعد أبلغ الصور للبحري في هذا الموضع هي: الصورة الثانية، والذي

يقول فيها:

فَنَيْتُ أَحَادِيثَ النَّفُوسِ بِذِكْرِهَا وَأَفَاقَ كُلِّ مُنَافِسٍ وَحَسُودِ
وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى تَعْباً كَظَنِّ الْخَائِبِ الْمَكْدُودِ

إذ حوى تصويره على استعارتين بليغتين أولهما قوله: (فنيئت أحاديث النفوس بذكرها)، والتي أجمت جميع السامعين، فما استطاع أحد الاعتراض أو المناقشة في أمر تلك البيعة، والثانية قوله: (وأفاق كل منافس وحسود)؛ حيث فزع كلاهما تغيظا منها، ومع أن الاستعارتين هما أساس التصوير، لكنني شعرت أن التصوير قد اعتمد على الوصف وليس الاستعارة؛ إذ إن البيت الثاني أضفى على الصورة جمالا زاد من المعنى وقواه؛ حينما أغلق الحلول لدى الحاسد بقوله: (والياس إحدى راحتين)؛ أي إما اليأس من الممدوح، أو الموت؛ إذ لا سبيل للوصول إلى سمائه أبدا، والتذييل في قوله: (ولن ترى تعبا كظن الخائب

المكود) وضح لك المعاناة التي يشعر بها الحاسد، والاضطرابات النفسية التي تصارعه، مما ينم عن شاعرية البحترى الواسعة في التعبير عن مثل هذا المعنى.

ثالثاً: الهبل والقتل:

قول^(١) البحترى يمدح الهيثم بن عثمان الغنوي:

لَا يَقْتُلُ الْحُسَّادُ أَنْفُسَهُمْ فَقَدْ هَتَكَ الصَّبَاحُ دُجَى الْهَزِيعِ الْمُظْلِمِ

وقوله^(٢) يمدح أحمد بن محمد الطائي:

هُبِلَ الْحَسُودُ لَقَدْ تَكَلَّفَ حُطَّةً تُبْدِي الْخِزَايَةَ فِي وُجُوهِ الْحُسَدِ

لَوُمْتَ خَلَايِقَهُمْ فَكَذَّبَ سَعِيَهُمْ عَنِ سَعْيِ فَرْدٍ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحِدِ

اعتمد التصوير في هذه الصورة الأولى على التشبيه الضمني؛

حيث شبه الشاعر الممدوح صاحب الأفعال الحسنة والنوايا الطيبة وهو يقتل قلوب حاسديه السوداء حسرة فيخرج ما بها من الضغائن والفتن بالصباح الذي يهتك ستائر الليل المظلمة؛ ليكشف عن نوره، فالممدوح وحده هو الذي يقتلهم ويشعرهم باليأس، فيخمد أذاهم، كمثّل الصباح هو وحده من يزيل الظلام الدامس.

(١) ديوان البحترى ج ٤ / ص ٢٠٨٥. الموازنة ج ٣ / ص ١١٩. هَتَكَ السُّتْرَ وَنَحْوَهُ هَتَكًا: جذبته فأزاله من موضعه، أو شَقَّ مِنْهُ جِزْءًا فَبَدَا مَا وَرَاءَهُ. وَالهَتَكَ: الفضيحة. والهزيع: صدر من الليل. لسان العرب مادة (ه ت ك/ ه ز ع).

(٢) ديوان البحترى ج ٢ / ص ٦٩٠. والموازنة ج ٣ / ص ١٢٠. هُبِلَ الْحَسُودُ: أي تكلمته أمه وهو دعاء عليه بالهلاك، والخُطَّةُ: من خطط المكان: قسمه وهيأه، والخُطَّةُ: الحال والأمر والخطب. ينظر لسان العرب مادة (ه ب ل، خ ط ظ).

وأول ما يلفت النظر في هذا البيت لفظ: (هتك) وهو محور البيت الذي يدور حوله المعنى، بل هو أساس المعنى، فلو غيرت هذا اللفظ إلى آخر لتغيرت الصورة والمعنى معاً؛ لأن لفظ هتك يدل على المبالغة في التعدي والكشف عن الحقيقة، فلولا هتك الصباح لليل؛ لعشنا في ظلام دائم، ولولا صفاء وطهارة الممدوح؛ لعشنا في غصة الحاسد. وليس هذا فحسب بل هذا اللفظ زاد الجمال في المنظر، فكما يهتك الحائك الثوب فيشقه طولاً وعرضاً، يتحرى الدقة والتنظيم؛ للخروج به إلى الشكل الجميل، هكذا فعل الممدوح بقلوب حاسديه.

أما قول البحرى:

هُبِلَ الْحَسُودُ لَقَدْ تَكَلَّفَ حُطَّةً تُبْدِي الْخِزَايَةَ فِي وُجُوهِ الْحُسَيْدِ
لُؤِمَتْ خَلَائِقُهُمْ فَكَذَّبَ سَعِيَهُمْ عَنِ سَعْيِ فَرْدٍ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحِدِ

اعتمد في التصوير هنا على الوصف؛ ليدعو فيه على الحاسد ويصفه بالهبل؛ حيث إن الحاسد يفكر في إبداع الفكر والخطط لإفشال ممدوحه، ولكنها تعود عليه بالخزاية.

بدأ بالجملة الخبرية المراد بها الإنشاء، فقال: (هبل الحسود) وذلك دعاء عليهم بالهلاك، بسبب ضعف عقولهم وسوء أفعالهم. وبنى الفعل (هبل) للمفعول؛ تعظيماً للمسند إليه المحذوف والعائد على الله - عز وجل - فهو القادر على العقاب والثواب. وعلى الرغم أن لفظة "هبل" أدت المعنى إلا أنها مخالفة للذوق. وفصل بين جملة (هبل الحسود) وما بعدها؛ لشبه كمال الاتصال، فالجملة الثانية بينت سبب هذا الدعاء وهو: (لقد تكلف حطّة...). أسلوب خبري مؤكّد بـ(قد)، أفاد شدة التعريض بهذا الحسود؛ حيث إن لفظة (تكلف) و(حطّة) أظهرت إرهاق النفس، وضياع الوقت.

ولعل كلمة (حطّة) بمعناها اللغوي أعطته العذر في استخدام كلمة هبل؛ حيث إنها بينت إهدار الحاسدين لأوقاتهم، وشغل فكرهم بعمل خطط مستقبلية

منهجه لسقوط الممدوح، مما استنثار الشاعر للتعبير بهذا اللفظ. كما أن هذه الخطة لم تضره بل زُدت في نحورهم، وهذا ما أفادته جملة النعت (تبدي الخزية في وجوه الحُسد).

ورغم أنه عبر بالمفرد في قوله: (هبل الحسود) إلا أنه جعل الخزي في وجوه (الحُسد) جميعا. وعبر بالمظهر مكان المضمرة والتقدير: (تبدي الخزية في وجوههم) للتحقير منهم. كما أنه آثر من الجموع لفظ (الحُسد)؛ لما في التشديد من الثقل في مسمع كل نفس.

ثم وصف أخلاقهم باللؤم فهي كالنفس اللئيمة؛ لأن اللؤم ليس من صفات الأخلاق بل من صفة النفس الإنسانية على سبيل الاستعارة المكنية، فشبّه الأخلاق بالنفس، ثم حذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه وهو اللؤم. ويمكن أن يكون من إطلاق الجزء على الكل مجاز المرسل علاقته الجزئية، فالأخلاق جزء لا ينفصل عن الإنسان، فلا إنسان بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون إنسان، وإنما هي جزء لا يتجزأ من صاحبها، إما تعلق من شأن صاحبها، أو تحط من منزلته.

وبعد ... فإن البحترى أجاد في صورته الأولى (هتك الصباح دجى الهزيع المظلم)؛ وذلك لإتيانه بالتشبيه الضمني؛ الذي وضح مقصوده، وأفاد مدحه، وأبرزها في صورة محسوسة جعلتها أبلغ من الصورة الثانية (هبل الحسود...).

وأخيرا: انقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مواضع، انفرد أبو تمام بصورة واحدة بالموضع الأول وهي: (مخامري حسد ... كأنما هو في أبدانهم مرض)، فاعتمد تصويره فيها على التشبيه؛ ليقوي حجته؛ وهي أن الحسد كالمرض يهلك صاحبه. بينما اهتم البحترى بالأمور المعنوية في بيان عاقبة الحاسد، واستخدم في ذلك أساليب التصوير المتنوعة: كالاستعارة، والوصف، والتشبيه، ووطده بالمجازات العقلية، واستخدام أسلوب الشرط؛ للتأكيد على ما يقول، مع استخدامه لصيغة أفعال؛ للمبالغة، وشدة التأثير على السامع.

الفصل الخامس

نفي الحسد عن إثباته للمحب (بين التصوير والدلالة)

تصرف أبو تمام في المعنى؛ فنفى صفة الحسد عن حاسد صاحب النعم، بل مدحه وجعله صاحب فضل عليه؛ فغيره مَا عُرِفَ الحسود، فلماذا يعاتب ويلام؟؟، وهو معذور في حسده، تسوقه نفسه إلى ما هو جميل وما هو عظيم. فقال^(١) يمدح أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شباة من "الطويل":

هُمُ حَسَدُوهُ - لَأَمْلُومِينَ - مَجْدُهُ وَمَا حَاسِدٌ فِي الْمَكْرَمَاتِ بِحَاسِدٍ

اعتمد تصوير أبي تمام على المبالغة في وصف ممدوحه، فبالغ في ادعاء سبباً لحسد الحساد له، وهذا السبب يفهم بديهياً من السياق، فبعد أن أثبت لهم الحسد بقوله: (هم حسدوه) أسلوب خبري أكد على حصول الحسد منهم، أتى بالاحتراز (لا ملومين مجده) الذي أوضح حسن نيتهم، فهم لا يلومون مجده، ولا يعيبون عليه رفعتهم، بل وجد لهم سبباً آخر وهو: انبهارهم بما وصل إليه المحسود من رفعة، وكأن ذلك من حسن التعليل. لذلك أتى بالمسند إليه ضميراً للغائب؛ ليكون الغرض منه: إبراز علو مكانتهم في إظهار نعم الممدوح.

وأكد كلامه في الشطر الثاني بالتذييل، وهو جار مجرى المثل في قوله: (وما حاسد في المكرمات بحاسد)، جاءت (ما) النافية؛ لنفى صفة الحسد عن حاسد ذوي النعم كما سبق. وبين قوله: (ما حاسد) و(حاسد) جناس بالسلب أكد المعنى ووضحه.

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ٢ / ص ٧٣. والموازنة ج ٣ / ص ١١٥.

بينما أثبت البحترى الحسد للمحب فقال^(١) يمدح علي بن محمد بن الفياض:

وكم أَنَافَتْ من الأَبْنَاءِ مَائِرَةٌ مَشْهُورَةٌ تَدْعُ الآبَاءَ حُسَادًا

خرج البحترى عن المألوف؛ فجعل الآباء حسادًا لأبنائهم؛ ليصف لك شدة فرحتهم بأحبابهم، وقلذات أكبادهم عندما وصلوا إلى المجد والرفعة. فترى الشاعر قد اعتمد في هذه الصورة على التشبيه، فشبّه الآباء بالحساد؛ لأن كليهما يتحدث عن الممدوح وعن مجده، فبدأ بـ(كم) الخبرية التي أفادت كثرة مآثر الأبناء التي تعود بالفرحة على آبائهم، كما أن المعنى اللغوي لكلمة (أناف) ^(٢) يدل على الزيادة، إلى جانب كلمة (مشهورة)؛ الذي أتى بها على سبيل المبالغة في الارتفاع.

وفصل بين المسند والمسند إليه بشبه الجملة الجار والمجرور (من الأبناء)؛ ليعلي من فرحتهم بأبنائهم، وسرعة التباهي بهم في كل مجلس بالتحدث عنهم.

فيظهر لك إجابة أبي تمام في هذا البيت عندما خرج من جو الكراهية والحقد الذي يعاني منه الحاسد إلى الحب والإعجاب بحسوده، فهو يتطلع إليه؛ ليرى ماذا يفعل، وكأنه حوّل معنى الحسد في هذا البيت إلى معنى الغبطة المحمودة، بينما شبّه البحترى بين الآباء والحساد، إلا إن الحساد يظهرون المحاسن بسبب غلهم وحقدهم، والوصول إلى ضياع النعمة، على خلاف حسد

(١) ديوان البحترى ج ١/٦١١. والموازنة ج ٣/ص ١١٨.

(٢) نَافَ الشيءُ يَنُوفُ إِذَا طَالَ وَارْتَقَعَ، وَأَنَافَ الشيءُ عَلَى غَيْرِهِ: ارْتَقَعَ وَأَشْرَفَ، وَأَنَافَ فِي الْعَدَدِ أَي: الزَائِدَ عَلَى الْعَقْدِ، مِنْ وَاحِدٍ إِلَى ثَلَاثَةِ، وَنِيفَ عَنْهُ أَي: زَادَ عَلَيْهِ. لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ (ن ي ف).

الآباء الذى يظهر النعمة تلذذًا بذكر مناقب أبنائهم، فيكون قد أثبت الحسد للمحب على سبيل الادعاء أيضا مما يعد من حسن التعليل. ولعل تصوير البحتري أبلغ من تصوير أبي تمام؛ لأنه جعل الأب حاسدا، وهذا معنى جديد لا يتبادر في الذهن.

خاتمة

انتهى البحث إلى عدد من النتائج:

- ورد باب الحسد في الجزء الثالث، ولم يُذكر ضمن أبيات باب المدح في الجزء الثاني؛ وذلك لأن الحسد وإن كان سببا في إبراز مناقب الممدوح، إلا أنه قد يسبب له الضرر لاحقا، فلا يصح إدراكه بباب خاص للمدح، بل جعله الآمدي بباب منفرد؛ ليكون عبرة وعظة لمن يعتبر.
- جاء الحديث عن الحسد في قصائد مدحية، وليست قصائد الغرض منها الهجاء؛ مما يؤكد على براعة الشاعرين للإتيان بما هو جديد يقوّى من مدح الشاعر للممدوح.
- اختلف التصوير عند الشاعرين في المعنى المتحد، فتميز أبو تمام بالتعمق في المعاني، والإغراق فيها؛ للإتيان بالمعنى الغريب، بينما تميز أسلوب البحثري بالسهولة والوضوح في صور مباشرة، لا تحتاج إلى كثير من العناء.
- اعتمد التصوير عند أبي تمام على استخدام التشبيه وخاصة التمثيلي؛ ليقوي من المعنى، ويكسبه حلاوة، ويُخرج المعنى من المعنوي إلى الحسي، الذي فُطِرَ عليه الإنسان في توصيل المعنى.
- اعتمد التصوير لدى البحثري على المجازات العقلية واللغوية، فهما كنز من كنوز البلاغة، تبلغ بالشاعر حد الإبداع والإحسان، والتوسع في طرق البيان.
- وصل عدد التشبيهات بالتقريب إلى (٧)، والاستعارات إلى (١١)، والكنايات إلى (١٥)، والمجاز المرسل إلى (٤)، مما يدل على انتقاء الآمدي لأعذب الصور التي جمعها في هذا الباب الصغير من كتابه.
- الصور البيانية ليست الأصل في الاستحسان والإجادة، بل اعتمد التصوير في بعض من الصور محل الدراسة على دقيق من الوصف، والتناغم الموسيقي، الذي ناسب السياق، وجعله يصل إلى ذروة البلاغة.

- أكثر الشعاران من ذكر الجمل الفعلية بصيغة الفعل الماضي، الذي يفيد تأكيد وصدق كلامهما، فهو مناسب لمقام المدح.
- استُخدم المصدر موضع الفعل؛ للمبالغة فيما كان مقررا واقعا مقطوعا بحدوثه.
- أكثر الشعاران من حذف المسند إليه والإسراع بذكر المسند؛ لما فيه من معنى قوي يناسب مقام المدح، ويبرز مكارم الممدوح.
- استخدم أبو تمام والبحتري أسلوب الشرط (لو ، إذا ، إن) الذي يعتمد على البرهان والدليل، وفي بعض الأحيان كانا يكسبانه صورة من التهكم والاستهزاء.
- عبر الشعاران بأسلوب القصر كنوع من المدح والهجاء الخفي معا؛ لأنه استُخدمَ في قصر المكارم كلها على الممدوح دليلا على اقتران الحسد بالنعمة، وقصر غيظهم منه هو لا غير كنوع من التهكم.
- كان للفصل دور بين الصفات الخاصة بالممدوح؛ لما بينها من شدة وكمال اتصال لا يحتاج إلى عطف، فاحتيج إليه؛ ليبالغ من كل صفة على حدا.
- كثرة التذييلات التي اتخذها البحتري كوسيلة للاعتبار والعظة، والبعد عن تلك الصفة السيئة.
- تفوق بحر الكامل في التعبير عن صورة الحسد؛ ولعل ذلك يرجع إلى أنه أكثر البحور جلجة وحركة، وندنة تفعيلاته تهجم على السامع وتتفاعل مع المعنى والعواطف والصور فلا تمكنه من الانفصال عنها بحال من الأحوال^(١).

(١) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب، مطبعة حكومة الكويت، بدون، ج ١/ ص ٣٠٢-٣٠٣.

- وضوح الملمح النقدي في كتاب الموازنة، إلا أنه اكتفى في بعض الأبواب بذكر عبارة نقدية وجيزة، تعبر عن الباب بأكمله كما فعل بباب الحسد.

من التوصيات:

- تناول باقي صور الحسد من ديواني الشعارين.
- تناول جميع أبواب كتاب الموازنة بالبحث والدراسة؛ إذ يشمل ثروة علمية هائلة لا يمكن إغفالها.
- الدراسة البلاغية الموازنة بين نقد الأمدي وغيره من النقاد.
- تعقّب حُطى الإمام عبد القاهر في هذا الكتاب والاستفادة منها.

وأخيراً

أرجو من الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، داعيةً له بأن أكون وفقت في هذا البحث، وأن يغفر لي ما قد عسى وقعت فيه من قصور الفهم وخلل الرأي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

المصادر

١. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، س١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٢. الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م.
٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة: المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.
٤. بديع التراكيب لأبي تمام، دكتور منير سلطان، مكتبة منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
٥. البلاغة ذوق ومنهج رؤية جمالية منهجية للدرس البلاغي الأمثل: دكتور عبد الحميد محمد العبيصي، مطبعة حسان - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٦. التصوير الفني في الحديث النبوي: دكتور محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٧. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.
٨. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
٩. ديوان ابن المعتز، دار صادر بيروت.
١٠. ديوان الإمام الشافعي المسمى الجواهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر القاهرة.
١١. ديوان البحترى، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٢. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السّجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٣. شذا العرف في فن الصرف، تأليف: الشيخ أحمد الحماوي، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
١٤. طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة.
١٥. علم البيان مقرر الفرقة الثالثة، لكليات اللغة العربية والشعب المناظرة: إعداد أ.د/ سلامة داود، أ.د. علي عبد الموجود، أ.د/صلاح حبيب، وراجعته: أ.د عبد المجيد هنداوي، أ.د أمانى هاشم، أ.د/ علي محمد حميد.
١٦. علم الدلالة علم المعنى: دكتور محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، س ٢٠٠١ م.
١٧. علم الدلالة: دكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
١٨. في علم الدلالة: دكتور عبد الكريم محمد حسن جيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، س ١٩٩٧ م.
١٩. لسان العرب لجمال الدين بن منظور، دار بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
٢٠. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب، مطبعة حكومة الكويت، بدون.
٢١. معجم الأدياء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٢. الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى، دراسة وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الرابعة، الجزء الأول. والموازنة الجزء الثالث

تحقيق: عبد الله حمد محارب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى،
١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين بن خلكان
البرمكي، تحقيق إحسان عباس دار صادر - بيروت، بدون طبعة،
س ١٩٠٠م. الجزء الرابع: الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٧٧	ملخص البحث
١٨٧٩	مقدمة
١٨٨٣	تمهيد
١٨٩٥	المبحث الأول: المحسود وعلو منزلته بين التصوير والدلالة.
١٩٠٥	المبحث الثاني: اقتران الحسد بالنعمة بين التصوير والدلالة.
١٩١٠	المبحث الثالث: فضل الحاسد على المحسود بين التصوير والدلالة.
١٩١٧	المبحث الرابع: عاقبة القلوب السوداء بين التصوير والدلالة.
١٩٣٥	المبحث الخامس: نفي الحسد عن الحاسد، وإثباته للمحب بين التصوير والدلالة.
١٩٣٨	الخاتمة
١٩٤١	المصادر والمراجع
١٩٤٤	فهرس الموضوعات